المشرق

العقائد المسيحية في الديامبس الرومانية

بقلم حضرة الخوري بولس سليمان

رومية ! تلك المدينة العظيمة التي انتشر ذكرها في العالم انتشار النهار . لما جمعت في ربوعها من رفيع التذكار وجليل الآثار وما كانت عليه من الحضارة والعمران ايام القياصرة الرومانيين والباباوات العظام الذين اقاموا فيهـا من انواع الزين وفنون البهاء ما كفل لهم ثناء التاريخ على توالي الادهار لم تزل مهوى افئـدة الناس اجمع ومطمح ابصار البشر على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واميالهم

يمرّ فيها المؤرخ فيقف في متاحفها ومكاتبها ويتأمل في رفيع مبانيها وما وعاه الدهر من بقـايا الازمنة الخالية ويجيء في خاطرهِ تاريخ نشأتها وتقدمها في جميع اطوارها فيتمثَّل قوَّادها وابطالها وامراءها وملوكها وشعراءها وخطباءهـا كشيشرون وفرجيل ومن جاراهم في مضمار الآداب فيناجيهم على تنائي عهدهم ويحدثهم برقيق شعوره وتأثيره ... يمرُّ فيهـا النافشون والمصوّرون وارباب الفنون الجميلة فيتعهَّدون بابصارهم تلك التماثيل البديعة التي نقشتها يد الكبراء كميكال انج وغيره من امراء النافشين ويرسمون في محفوظهم ما رسمتهُ على النسيج انامل رفائيل ومن ضارعهُ من نخبة الراسمين. هناك يعاينون تلك الاعضاء المنتظمة ويستقصون كل حركة واشارة من تلك المصنوعات الجليلة ويدوّنونها في خواطرهم لأيام العمل — يمرّ فيها المؤمن وقد ثائت عواطف الحبّ والابتهاج فلا يخطو خطوة الّا يرى فيها حياة

الكنيسة الكاثوليكيّة. وكأنّ الدهر الغائب ينبعث من لحده فيروي له تعاذيب العذارى والشهداء في مواضي الاجيال. وكأنّ الاحبار الرومانيين ينشرون من مدافنهم ويتراءون له بعزّهم وفخرهم. هناك يجثو بالقرب من قبر الرسولين بطرس وبولس فيجري دمعهُ وينقطع صوتهُ عن الكلام وتلتصق شفاهُهُ على الرخام ساعةً وهو يصلي ببكاء واحترام. هناك يتجلّى له حبر الاحبار بعظمتهِ وسلطانهِ فيعاين بعين الايمان من وراء ذاك الجسم الانساني ما نالهُ من القدرة الالهيَّة فيقف امامهُ وقد عجز اللسان عن الكلام لما تولّاه من المهابة والوقار فتسيل عبراتهُ ناطقةً بافصح بيان عمّا يمرُّ في قلبهِ من عواطف الورع والاكرام

تلك المدينة غدت في عصرنا الحاضر مرمى ابصار العلماء يتواردون اليها ويتفقّدون ما فيها من البقايا والآثار وكأنّ الله اعدّها لتكون كمجتمع البراهين في عصر تفرّد عن غيرهِ بالالحاد والنكران. وحسبُ الناظر ان يسرّح الطرف فيما تركهُ الدهر الغابر وما اورثنا اباؤنا من جليل الميراث ويستنطق الاحجار وما رُسم عليها من الكتابات الوجيزة ويعاين تلك التصاوير البديعة التي اصبحت كسلاح جديد للمدافعة عن الدين واربابهِ. ولقد لستنا بما سطّرهُ العالم دي روسي في مجلّتهِ المسماة رومية الدياميس (Roma Sotterranea) وما رسمهُ السيد ڤيلبر (Mgr Wilpert) في كتاباتهِ الشهيرة. وقبل ذلك نأتي في مقالتنا ببعض الوصف للدياميس في دهرنا الحاضر وما كانت عليهِ في مواضي الازمان (١

*

الدياميس هي مقابر عظيمة نُقرت تحت الارض في الربوع الرومانيَّة طلباً لحاجات المسيحيين الاقدمين في مدافنهم وهي كثيرة الشعاب تتعارض من كل الانحاء. ويخترق بعضها بعضاً وهي واقعة غالب الاحيان خارجاً عن اسوار المدينة على مقربة من الشوارع الرومانيَّة الشهيرة. وقد عثر الاثريون على خمسين مقبرة من هذه المقابر الخفيَّة ويقال انَّ مساحتها تنيف على مئتين وخمسين هكتاراً وطولها كلها يزيد على الف كيلومتر. وقد حفر القدماء يميناً وشمالاً نواويس صغيرة كانوا يكفّنون الجثث ويضعونها

١) فليراجع القرَّاء المقالة الجميلة التي انتطقناها في المشرق (١٣ (١٩١٠) : ١٦١-١٧١) عن خطاب لحضرة الاب دي لاروه اليسوعي في دياميس رومية

فيها . وكثيراً ما وَجد الاثريون بالقرب من تلك العظام قنينة جمية بديعة الرسم محاوية عطراً طيباً . وربما وقفوا على غير ذلك من الآثار . فان كان المدفون شهيداً وضعوا في تلك الزجاجات شيئاً من دمهِ الطاهر واقاموا بالقرب من عظامهِ مصباحاً زيّنوه بالكتابات والازهار . فقد سطروا على بعض المصابيح هذه الكلمات (Φῶς Χριστοῦ φαίνει πᾶσι) اي ان نور المسيح يضيء للكافة وفقاً لما قال السيد له المجد : "ليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات" . وكانوا يسدّون القبور بالرخام او الفخار ويدوّنون عليها اسم الميْت ويوم رحيلهِ الى الديار الخالدة . وربما اثنوا عليهِ بمديح رقيق نشروا فيهِ مآثره وختموا قولهم بصلاة الى المولى كي يُدخلهُ جنّات السعادة والسلام

ولو رام القارئ ان يعرف صورة الاجداث في تلك الداميس قلنا انها تشبه القناة الصغيرة كانوا يدخلون فيها الجثث ويوارونها عن العيان . بيد ان اهل الثروة منهم كانوا يدفنون امواتهم في محل ارحب واوسع يشيّدون بالقرب منهُ مخدعاً كبيراً تنساب اليهِ الانوار من فوهة كفوهة الآبار فترسل اشعّة ضئيلة تثير في القلب عواطف التقوى والاحترام

ولقد وصف المؤرخون حالة المؤمنين في هاتيك الازمان بما يورث الحزن والاكتئاب فكنت ترى المسيحيين أيام الاضطهادات نازلين جماعات جماعات حاملين المصابيح في تلك الظلمات فيكاد الرعب يغشاهم . على انهم بين اشجانهم كانوا يترنّمون ترانيم الحمد والثناء . فما اعذب ما كانت تلك الالحان الصادحة في الليل تختلط بانغام الجنّة وسكان السماء ! ويا حبّذا لو رجّع لنا الدهر تلك الاناشيد وهي صاعدة من اسافل الارض من نفس خائفة مكلومة ! هناك كانوا يرتلون النشيد صهيون على انهار بابل بعيدين عن اوطانهم ومنازلهم (مز ١٣٦ : ١) . وكانوا يستخدمون تلك المخادع لاعضاء الأسرة الواحدة وربما اشترك فيها بعض الاخلاء مشيرين الى انَّ مَن جمعتهم على الارض علائق الوداد والحبّ لا بدَّ من ان تربطهم روابط القبر واللحد حتى اذا تفتّتت عظامهم اختلط رمادهم واتّحدت بقاياهم . هناك في تلك الكهوف كانوا يلتئمون لاقامة المواسم يوم عيد الشهيد او بعد سنة مضت لدفنهِ فيحتفلون بالذبيحة الطاهرة وكسر الخبز . وقد بقيت تلك المخادع اللحدية وما يجاورها بزينتها

ورسومها وصورها الكثيرة الالوان وما رُقش على جدرانها من الكتابات. فاخذ العلماء ومحبو الآثار يرسمونها ويصورونها قبل ان تفنى وتغيب عن الوجود لما يطرأ عليها من عوامل الايام وحوادث الازمان كالهواء والرطوبة والانوار (١

فبعد ان قدمنا تلك الملحوظات نقول: بدء الحقائق واساسها هي وجود الله ووحدانيّتهُ فان الفلاسفة الوثنيين انفسهم ادركوا تلك العقيدة بتوقُّد ذهنهم وإعمال الفكرة وآلُ اسرائيل ورثوها عن ابائهم عصراً بعد عصر بالوحي الالهي · على ان السيد المسيح زاد بان الله ابٌ رحيم شفوق يحبّ الخطأة ويرحم البائسين وعلّمنا بان ندعوه ابًا محبوبًا ولذلك نرى الكتابات تسمي الله الاهاً رؤوفاً وشفيقاً وصالحاً (ἀγαθός, ἐλεήμων, φιλάνθρωπος) يتبعنا من يوم نزولنا على ضفاف الحياة الى يوم وصولنا الى ابواب النعيم وهو يتقدّمنا بانعامهِ ويتلونا بمراحمهِ والطافهِ. هناك الهتافات الكثيرة نحو العلي كقولهم: " تَعِش في الله " (Vivas in Deo, ἐν Θεῷ) ولربما سطروا ما كان عليه الميت من الايمان فاتّا نتلو على ضريح احدهم: آمنَ بالله الواحد (in unum Deum credidit) او آمن باسم الله (In nomine Dei) (٢

وكثير من الكتابات القديمة تقرّ بلاهوت المسيح الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. ودونك بعض النصوص فقد كتبوا على قبر احدهم هذه العبارة: لمرقس الذي يستريح بسلام في اسم المسيح (Marco, in pace in nomine ☧ quiescit)

---

١) ومع كون الدهر قد لعب بتلك التصاوير الجدارية وعفا عنها بعض الرسم قد توصل السيد ڤيلبر (Wilpert) بالطرائق الكيموية الحاليّة الى نقل رسومها في كتاب لهُ مشهور قرن فيهِ واسع العلم الى توقُّد الذكاء. فجاء كتابهُ حافلًا بالتصاوير البديعة بالواحها وألوانها وعطفاتها. ولقد قام من بعدهِ نفرٌ كبير من ارباب العاديات واصحاب الآثار في عصرنا فعكفوا على درس تلك الخبايا وعادوا مذهولين ممّا هنالك من انواع التصاوير والكتابات. وقد اتت تلك الآثار بما هي عليهِ من الرقة والدقة من اوضح الشواهد على انّ الكنيسة في اول عهدها رأت ما بين مؤمنيها مشاهير رجال ونخبة راسمين ومصوّرين ممّن احبّوا البديع فقضوا حياتهم يسطرون ما رأوهُ من محاسن الطبيعة وجمالها

٢) ولم نسطّر ما كانوا يسمونهُ (Graffiti) وهي كتابات كان يكتبها الزائرون في مواضع زيارتهم وبقيت هذه العادة بين الشرقيين الى يومنا فان زار احد كنيسة او محلًا مقدّساً دوّن اسمهُ بالفحم او بقلم الرصاص قائلًا: اذكر يا رب عبدك فلاناً

ونجد في مقبرة كيرياكوس تلك الكلمات : انهُ يستريح في السيد المسيح (In Domino Christo) . وربما طاروا بالفكر والقلب الى السماء فوضعوا هناك في تلك الديار رجاءهم وافراحهم ومن ذلك قولهم : يا ريجينا ليتكِ تعيشين في السيد يسوع (Regina, vibas in Domino Iesu) . ولدينا بعض الكتابات اليونانيَّة وهي اقدم عهدًا من قسطنطين الملك حيث يعترف المؤمنون ويقرّون بجلي البيان بلاهوت المسيح قائلين : رقد في المسيح الالاه : Ἐν Θεῷ ☧ (١ او في السيد الالاه Ἐν Θεῷ Κυρίῳ وهذه الكلمة « كيريوس » مأخوذة من رسائل القديس بولس وانجيل القديس لوقا وهما يوردان تلك الكلمة بمعنى السيد المسيح الالاه المتجسد . وفي المتحف البندقي (Venise) نجد قطعة رخام سُطرت عليها هذه الكلمات : In Do - mi - no nostro D. C. T. اي نؤمن بسيدنا المسيح الالاه . وفي مقبرة برسلّا كُتبت هذه العبارة : آمن بالله يسوع المسيح ابن الله المخلص . وقد وضعوا صورة السمكة لان كلمة سمكة باليونانيَّة Ἰχθύς وكل حرف منها مطلع اسم من اسماء المسيح اي Ἰησοῦς Χριστὸς Θεοῦ Υἱὸς Σωτήρ اي يسوع المسيح ابن الله المخلّص

واما لاهوت الروح القدس فقد ذكرتهُ الكتابات كما نجدهُ في مدفن القديس كاليستوس حيث يقول ابٌ لابنهِ العزيز كيرياكوس : ليتك تعيش في الروح القدس (Kuriaco filio dulcissmo vibas in Spiritu Sancto) . وفي تلك المقبرة عينها نشاهد عماد السيد المسيح والروح القدس نازلًا على الابن بشبه حمامة بينما الماء يجري بالتؤدة والوقار والاشجار تهتزّ طربًا على شواطئ الاردن والحمامة ترفرف باجنحتها فوق المياه وصوت الله على المياه ينساب كاللجج ويقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا . . . وفي متحف كيرشر نجد هذه الكتابة Ἐν ἁγίῳ Πνεύματι Θεοῦ اي بروح الله القدوس

ولنا عدد وافر من الكتابات تُنبئنا عن ايمانهم بالثالوث الاقدس وما كانوا يؤدّون لهُ من فرائض العبادة والسجود وقد حفظ لنا الدهر كتابةً قديمة في مدفن برسلّا وفيها تمجيد للثالوث الاقدس قال كاتبها : « يا ابَ الذين انشأتهم وخلقتهم امنح السلام لهم كلّهم . لك المجد في المسيح المصلوب »

١) ان هذا الرسم يدل على الكلمة اليونانيَّة Χριστός اي المسيح

Ὁ Πάτηρ τῶν πάντων οὓς ἐποίησας Κ. παρέλαβης εἰρήνην, ζωὴν Κ. Μαρκέλλον. Σοὶ δόξα ἐν Χριστῷ καὶ ἐν Ἁγίῳ Πνεύματι.

وان قابلنا تلك الكتابة بما نرتّلهُ في صلاتنا اليونانيّة اتّضح لنا جليًّا انَّ الاعلانات في آخر الطلبات (Ἐκφώνησις) هي قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الاولى لأنَّا نتلوها في ليتورجيا القديس يعقوب وفي تعليم الرسل الاثني عشر (Διδαχὴ τῶν δώδεκα Ἀποστόλων) . وهذه كتابة اخرى وُجدت في مقبرة دوميتلّا حيث يمدحون بركوديانس ويقولون عنهُ انهُ « آمن بالمسيح يسوع وعاش في الآب والابن والروح القدس » (vixit in Patre et Filio et Spiritu Sancto)

ونجد في ديامس رومية صور الخليقة جمعاء من الانسان الى الجماد . ففي بعض التصاوير نعاين السماء مصوَّرة بالنجوم السواطع والارض في ربيعها مقشّبة حلّة بديعة من ضروب الزهر وانواع الخضرة والاشجار تتمايل باغصانها والجداول تتراكض بين الصخور والاحجار او في السهول على الاعشاب وكأنّي بهم قد دعوا الخلائق بأسرها لتمجيد الباري جلّ جلالهُ . وقد صوَّروا ايضاً فصول السنة الاربعة وزيّنوا الجدران بالاطيار كالحمامة والطاووس والعنقاء . والحمامة رمزًا الى النفس الطاهرة . والطاووس يمثل القيامة لان ريشهُ يتجدد كل سنة مع تقادم الأيام . ولدينا رسم بديع من النجوم السماوية في مغارة الاشيليين (Acilii) حيث نرى السماء بكواكبها اللوامع تزينها كتابة صغيرة رآها قسطنطين الملك وهي Τούτῳ νίκα اي بهذا تظفر

وقد صوَّروا في الديامس سقوط آدم وحوَّاء في الفردوس . وقد نالت تلك العقيدة حظًّا وافرًا فيما بين الشعوب القدماء حتى رسموها في معابدهم وهياكلهم ودوَّنوها في كتبهم . ولقد الفى اهل العلم تلك الحقيقة عند المصريين والبابليين والاشوريين واليونانيين والرومانيين واهل الشرق الاقصى كالصينيين والهنديين . على ان المسيحيين قد اصلحوا بما عرفوهُ بالوحي ما دخل فيها من الحكايات والاوهام الباطلة . وقد صوروا آدم وحواء قبل السقطة وبعدها فهما طورًا بالقرب من الشجرة في الجنة يقطفان الثمرة المحرَّمة وطورًا تراهما بعيدين منها ويد متصاعدة من وراء السحاب تطردهما من الجنة . والحيَّة ملتفَّة على الاغصان

وقد مثلوا السيد المسيح كالملك على عرشهِ والناس بين يديهِ خاشعين مذعورين

وربّما احاطوا بهِ وسجدوا لهُ مقدمين لهُ فرائض السيادة والعبادة. وقد توفَّرت منذ القديم تصاويرهم في الربّ يسوع ولطالما اعملوا الفكرة لاستنباط اجمل الوجوه وابدع الحركات والاشارات فلذلك تراهم يتفنّنون في رسومهم ولم يملّوا في توفير عددها. واقدم رسم للمسيح ما كان رمزًا لاورفي (Orphée) وهو نادر الوجود نجدهُ ثلاث مرات ومعناه لا يخفى على من عرف الاساطير والحكايات الوثنيـة. فكما ان اورفي سحر الوحوش على زعمهم بانغام عوده والحان كنارتهِ هكذا الربّ يسوع ذاك المرنم الالهي قد غيَّر طباع الوثنيين وما كانوا عليهِ من التوحش في عاداتهم البربريّة بما اتاه من رفيع التعاليم وسامي العقائد. ولقد مثلهُ المصورون سائرًا بين السهول والاعلام حاملًا عودًا جميلًا يرنم ترانيم الربوع والجنات او جالسًا على شواطئ المياه ينشد انغامًا سماويّة فاذا سمعتهُ وحوش البراري والحيوانات الضارية سكن غضبها وانقادت الى غنائهِ المطرب. فيا حبذا ذاك الرمز وتلك الصورة التي تنطبق حق المطابقة على الربّ يسوع وهو يجول في ربوع الجليل بين اشجار الناصرة او على شواطئ بحيرة طبرية او بين سفوح الكرمل او في اودية اليهوديّة. هناك على جبل التطويبات ترنو اليهِ الجموع الكثيرة. هناك الشيوخ البيض النواصي يصغون لهُ باحترام ووقار. هناك الشبان يُسحرون بعذب كلامهِ. هناك القوم كالبحر الساكن لا يبدون حراكًا امام ذاك الخطيب المصقع والشاعر المطرب امام ذاك المعلم الالهي

بيد ان صورة الراعي الصالح قد توفَّرت منذ الاجيال الاولى وفقًا لما ورد في الانجيل الكريم حيث قال الربّ: انا الراعي الصالح وانا عارف برعيتي ورعيتي تعرفني. من رأى يومًا في جبال فلسطين ايام الربيع راعيًا واغنامهُ تسرح ما بين الاعشاب والازهار يخال لهُ ان مصوري الدياميس جالوا في ربوع الشرق قبل العمل ورعوا تلك المشاهد بجمالها ورونقها ثم مثّلوها على الجدران. هناك في تلك التصاوير تعاين الحملان ترقص بين الزروع الخضراء. هناك الخراف راتعات والاغنام جاثلات على الصخور حانيات رؤوسها بين الكلإِ او صاعدات في الجبل والراعي يقرن الى صوت الطبيعة انغام مزمارهِ فتدوي طورًا مالئة الفضاء يتردد صداها في الجبال والاوداء ثمَّ يغيب شيئًا فشيئًا في هدوّ القفر وسكونهِ. وطورًا يندفع هو نفسهُ في الغناء ليسلو عن وحدتهِ في تلك الانحاء. هناك ترى الراعي الصالح يترك التسعة والتسعين خروفًا وينشد عن ضالّتهِ

حتى اذا وجدها حملها على اكتافهِ واتى بها فرحاً مسروراً ولذلك نعاينهُ دائماً في تلك الصور حاملاً حملاً ناعم الصوف ساكن البال. وربما مثّلوا جداول الماء والاغنام منحدرات من اعلى الجبال لترتوي من تلك المياه. وربما وضعوا الى جانبهِ اناء حليب رمزاً الى الافخارستيا (١). وكانوا يرتلون في اناشيدهم: «يا ربّ نسألك انت الراعي الصالح ان تحمل نفس المائت على اكتافك الالهيّة وتدخلها في ربوعك الازلية»

وقد رسموا المسيح على صورة السمكة لان السمكة هي رمز الافخارستيا. وممّا يثبت قولنا كتابة شهيرة يرتقي عهدها الى القرن الثاني سطرها ابرقيوس اسقف هيرابوليس من اعمال افريجية حيث قال: «كان الايمان يعيّن لي طعاماً اينما نزلت سمكةً من الينبوع عظيمة طاهرة اصطادتها عذراء نقيّة وهي توزّعها على الاحباب طول الايام ليقتاتوا بها». وقرنوا الى هذه الصورة رسم الحمل الاقدس وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم: هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم. ويا حبّذا ما اتوا بهِ من المعاني والرموز البديعة فانك ترى انهار الجنّة الاربعة وعليها حملٌ ناصع البياض فالانهار تشير الى الاناجيل الاربعة التي انتشرت في اقطار العالم من تلك التعاليم السامية الالهيّة. وكثيراً ما رسموا الحمل تحت الرساة. والرساة هي رمز الى الصليب الذي عُلّق عليهِ الحمل السماوي. وقد مثّلوا الحمل وحمامة بيضاء تُقبل اليهِ بفرح وسرور حاملة عرق زيتون دلالةً على انّ النفس المحزونة السائرة في ارض الشقاء اذا وفدت الى الرب في سرّ محبتهِ تجد حينئذٍ سلام النفس وسكون الضمير. وربما اقبلت الحمامة تستند الى صدر الحمل لانهُ كما ان القديس يوحنّا الحبيب اسند رأسهُ الى صدر الرب في العشاء السريّ كذلك النفس الطاهرة تستند الى قلب السيد يوم تتناولهُ في احشائها

ولو رمنا تسطير كل ما رسموهُ لوصف المسيح لطال بنا الكلام ولم ننل ما تصبو اليهِ الرغائب والآمال. ولقد اخترنا بعض التصاوير من حياتهِ المقدّسة. فانّ المسيحيين قد تتبعوا السيد لهُ المجد في اطوار حياتهِ فصوّروهُ وهو طفل رضيع يرنو الى امهِ الطاهرة فيبسم لها ابتساماً ذا لطف ورقّة يعجز القلم عن وصفهِ وايرادهِ. او ينظر الى

١) راجع مقالة حضرة الخوري جرجس عزيز «الافخارستيا في العادات المسيحية» (المشرق ٤:٦٧٤)

المجوس وهو يفتح لهم يديهِ الصغيرتين ويتعهّد ما يُقدم لهُ من الهدايا والتقادم. ولمّا ترعرع وبدا كالشاب الرطب مثلوهُ على تلك الهيئة وعليهِ حلّة خفيفة كثياب الرومانيين الاقدمين. وعلى هذه الصورة مثلوهُ وهو يصنع العجائب والآيات. وعقيب الجيل الثالث حسّن المصوّرون ليأت وجه المسيح وعطفاته حتى غدت صورهُ تقارب الكمال. فجعلوا لهُ من ثمّ غديرتين تسيلان على كتفيهِ وصوّروا عينيهِ على افضل ما رسمتها يد الانسان والقوا عليهِ مطرفاً واسع الاهداب

واذا نزل الزائر الى دياميس برسّلا يرى الملاك جبرائيل مرفرفاً باجنحة قاطعة الفضاء الى ان يصل الى مريم العذراء فيقف امامها بالخشية والاحترام ويهديها التحيّة والسلام ثم يبشّرها بالمخلص الموعود بهِ من نشأة الادهار. هناك يشاهد المرء فتاة تأسر الطارف حسناً وبهاء تحني رأسها وبلسان حالها تقول: «ليكن لي كقولك» ولقد اعيد رسمها في مقبرة كاليستوس. وقد رسموا عن يمين العذراء الملاك جبرائيل قائلاً: ها انك تحبلين وتلدين ابناً ويدعى اسمهُ عمانوئيل. وعلى شمالها النبي اشعيا ينظر في اسرار الغيب مسطراً تلك الكلمات نفسها. وفي مقبرة القديس سبستيان صوّروا الطفل يسوع في احضان البتول مريم ودوّنوا هذه الكلمات: عرف الثورُ صاحبهُ والحمار معلفهُ واما اسرائيل فلم يعرف خالقهُ. ومما يجمل ذكرهُ ما رسم هناك من المناظر الجميلة حيث نعاين المجوس قادمين من بلادهم حاملين ذهباً ولباناً ومرّاً والنجم يلمع في كبد السماء. وقد البسوهم العامة والقلنسوة الفارسيّة. وكثيراً ما طار بهم طائر الفكر الى شواطئ الاردن فمثّلوا عماد المسيح كما سطرهُ الانجيليون. وقد صوّروا اعجوبة المخلّع (١ وهي رمز الى غفران الخطايا لان السيد قال لهُ فيها: مغفورة لك خطاياك. وقال ايضاً: لكي تعلموا انّ ابن البشر لهُ سلطان على مغفرة الخطايا فانا اقول للمخلع لك اقول: قم احمل سريرك وامض الى بيتك. ومثّلوا تكثير الخبزات (٢ وقيامة لعازر من بين الاموات مرات عديدة (٣ وتحويل الماء خمراً في عرس قانا. وهذه الصورة من ابدع ما رسمهُ الراسمون: هناك ترى الاعمدة الرفيعة تكاد تلتصق بالسماء

---

١) قد صوّروا هذه الصورة عشرين مرة في الدياميس

٢) عُدّت تصاويرها ثلاثين مرة ٣) مصوّرة خمسين مرة

هناك الموائد الكثيرة والمدعوُّون جالسون على المقاعد المزينة والخدَم يذهبون من كل الجهات فيتقدمون بترتيب ونظام انواع الاطعمة وضروب المآكل. وقد اكثروا من رسم صورة يونان النبي في الداميس اشارةً الى قول الربّ كما انَّ يونان بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام هكذا المسيح يلبث ثلاثة أيام في بطن الارض ثمَّ يقوم ظافرًا على الموت والجحيم

فبعد ان جثونا امام الابن صارخين مع الرسول: انت ربي والهي. هلمَّ نعاين طلعة الامّ ونشاهد تلك الفتاة الالهيَّة ونستدلّ بالتصاوير عمَّا كان لها من الاكرام والاجلال في الاجيال الاولى. هلمَّ نتأمل بتلك الملكة العظيمة الجالسة على عرشها بثوب مذهَّب موشَّى. فقد سبقت القديسين في الاكرام منذ الجيل الثاني ليس كما يزعم الملحدون انَّ المجمع الافسي اوَّل من اخترع اكرامها. ففي مدفن برسلَّا نجدها جالسة تارة بالقرب من ابنها على عرشها واخرى حاملة الطفل يسوع والناس يكرمونها. وقد وجد الاثريون في مقبرة برسلَّا ايضاً صورة يرتقي عهدها الى الرسل كما اقرَّ به الجاحدون انفسهم. نشاهد النبيَّ اشعيا متردّياً برداء طويل حاملاً بيدهِ الشمال درج الكتاب واليد الثانية تشير الى نجم يسطع في السماء اشارة الى قول يعقوب: وها انَّ نجماً يخرج من اسرائيل. والطفل الرضيع يدير الطرف الى النبي بلطف وحنو. وممَّا يدلّ على اكرامهم للعذراء مريم ما نراه في المقبرة نفسها فانَّا نعاين شيخاً عن يمين فتاة تصلّي وبالقرب منهُ فتاة اخرى مكشوفة الراس وفي يدها درج. وعلى شمال المصلّية شابة جالسة على عرشها وقد ارتأى السيد ڤيلبر في شرحه لتلك الآية ان المسيحيين الاقدمين اشاروا بذلك الى تكريس عفتهم وطهارتهم للبتول مريم كما نشاهد في عصرنا الحاضر. فانَّ تلك الفتاة تكرّس عفتها للتي هي اعلى من الشاروبيم واكرم من الساروفيم. وقد رسموا صورة البتول مغطاة الراس او مكشوفة وكثيرًا ما رسموها على الزجاج وعلى النواويس بما لا يحصى لهُ عدد. وقد وجدوا اسم العذراء مريم على كاس مذهَّب محفوظ في المتحف اللاتراني

بيد انَّ الكنيسة كانت ايضاً موضوع رسوماتهم فتلك المصلّيات تمثل الكنيسة قاطبة تتضرَّع لاجل العالم اجمع. وقد مثلوها كسفينة نوح تكدّها الامواج في بحر

العالم سائرة بين الصخور آمنة من غوائل العواصف والزوابع وكأن الراسم اراد ان ينبئ المؤمنين بتلك الصور انهٔ خارجاً عن الكنيسة تجد الهلاك والبوار. وربما وجدنا المسيح نفسهُ يصلي باسطاً يديهِ على شكل صليب دلالة على انَّ الكنيسة لا ينتقض منها حجر ولا تخشى ابواب الجحيم ما دام الرب معها الى منتهى الاجيال يتضرَّع من اجلها

ولم ينسَ المؤمنون ان يرسموا بطرس الهامة في الديامیس وفي رسومهِ دليل باهر على ان الرئاسة البطرسيَّة لم تنشأ عن حبّ الترفُّع والطمع في حبّ المراتب كما زعم المنفصلون عن البيعة وارباب الضلال. ولقد جاءت الاكتشافات برهاناً ساطعاً على انّ البابا هو راس الكنيسة (١) ولهُ قال السيد المسيح في شخص بطرس: ارعَ خرافي ارعَ نعاجي. واذا نزل الزائر الى تلك الديامیس او مدخل الواتيكان وتبصَّر في تلك الآثار عجب كل العجب من وفرة ما يرى هناك من التصاوير القديمة التي تمثل الرسول بطرس فانَّ هذا العدد الوافر ينبئ عما كان عليهِ هذا الرسول من الرفعة والاكرام في الادهار الاولى فضلاً عمّا محاه الدهر من الآثار. ومن غريب ما يُرى ان تلك الصورة ليست مبتكرة خيالية كصور المسيح بل تجري على رسم محدود وصورة معروفة معهودة والسبب بديهيٌ وهو ان القديس بطرس عاش فيما بينهم مبشّراً وكارزاً فانطبعت صورتهُ في محفوظهم فرسموها كما عهدوها ودون ان يلحقوا بها تغييراً واصلاحاً. وكثيراً ما رسموا بطرس الرسول على الاقداح والكؤوس وذلك في طبقتين من الزجاج الملوَّن وزيّنوها بالذهب الخفيف على غاية الاتقان وزخرفوها بالزهر والورد وربما سطروا عليها بعض كلمات كقولهم بطرس (Petrus). ولقد كثرت صورة الرسول بصحبة النبي موسى كليم الله فكما كان موسى في البرّية قائداً ومرشداً لشعب الله الى ارض الميعاد كذلك اقيم بطرس رئيساً واماماً للامم المسيحيَّة. وكثيراً ما رسموهُ يصطاد سمكاً من بحر هذا العالم كما في مدفن كاليستوس وفقاً لما قال المسيح وساجعلك صيَّاداً للناس. فتراه طوراً يضرب

١) راجع المقالة النفيسة التي كتبها الاب لويس جلابرت في المشرق (٦ (١٩٠٣): ٥٧٧) وعنوانها الرئاسة البطرسية في ديامیس رومية» وهناك عدَّة تصاوير نُقلت عن رسوم الديامیس

الصخرة فتتفجر المياه كالانهار واخرى يلقي الشبكة على شواطئ البحار وتارة يسقي الشعوب من مياه الصخرة العذبة اي المسيح. وفضلًا عن ذلك رُسم مرارًا امام معلّمه الالهي. فنعاين الربّ غير مرّة مقدمًا له العهد دلالة على انهُ هو موسى الجديد للشعب المسيحي. وكثيرًا ما ترى المسيح يسلمهُ المفاتيح طبقًا لما قال له: وساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطًا في السماوات. وما اجمل ما نعاينهُ في المتحف اللاتراني من بديع الرسم حيث نرى بطرس حاملًا الدرج اي التعاليم الخلاصيَّة كما نشاهد ذلك في ناووس سُطرت عليه هذه الكلمات: السيد يمنح شريعتهُ. لكنَّ الرسول لا يرث السلطان الالهي ألّا يرث ايضًا الوعد بانهُ سيحتمل الآلام لاجل سيّده ولذلك قد رسموهُ حاملًا صليبهُ سائرًا وراء الرب يسوع. وفي صورة اخرى بينما الربّ يسلمهُ عصا الرعاية نجد الديك امامهُ اشارةً الى انهُ انكر المسيح ومع ذلك لم تُنزع عنهُ سلطتهُ

ولقد جمعهُ المصوّرون مع الرسل الكرام ولكنهم اقاموا له بعض الدلائل تميّزه عنهم كتاج العظمة والرفعة وعصا الرعاية او هالة مذهّبة وضعوها حول رأسه لان الرب طوّبهُ وبينما هو مكلّل باكليل الفخر والمجد نعاين بقيّة الرسل مكشوفي الرأس كما نجد ذلك في جرن العماد المحفوظ في رافنّة. واذا قرنوا اليهِ صورة الرسول بولس رمزوا ايضًا الى قدوتهِ وسلطانهِ وقد ميّزوهُ بطرف طويل والقديس بولس ينظر اليه رهبةً ووقارًا فطورًا يخطب امام الشعوب والاناء المصطفى يصغي الى اقوالهِ وطورًا يمنحهُ درج الناموس الالهي

وممّا امتازوا بهِ في الاجيال الاولى الصلاة لاجل الاموات. فهم يتضرّعون الى القديسين بكلام رقيق كي يُدخلوا الى السماء من يعزّ عليهم. فكانوا يضعون موتاهم تحت حماية الشهداء والمعترفين كما تقرّ بهِ كتابات عديدة من الجيل الثاني. قال احدهم: ايتها القديسة باسيلّا انا نكل اليك ابنتنا مسينا التي عاشت عشرة اشهر (Domina Basilla, commendamus tibi Mecinen filiam nostram quae vixit menses x.) وكانوا يرددون في محفوظهم ذكر موتاهم ويصلون دون انقطاع من اجل نفوسهم ويطلبون لهم من المولى الرحيم الراحة الابديَّة والسلام التامّ وعلى هناء ومكان نور حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء. بل حياة لا تفنى. ودونكم

كتابة جميلة قال كاتبها : (Ipsis, Domine, et omnibus in Christo quiescentibus, locum refrigerii, lucis et pacis ut indulgeas deprecamur) اي نسألك يا ربّ لهم ولكلّ الذين رقدوا في المسيح ان تمنحهم محل ندًى ونور وسلام. ولقد حفظت الليتورجيات اليونانيّة والرومانيّة تلك الصلوات البديعة وهي ترنّها في صلواتها لاجل الاموات

هذا قليل ما اتينا به من الآثار ولو رمنا ذكرها بطويل المقال لمضى الزمان ولم ننل ما تصبو اليه الاماني والاوطار. ولقد صحّ ان ندعوها براهين الجوامد والاحجار وفقاً لما قال الرب في انجيله الطاهر: ولو سكت الانام عن الكلام نطق الجماد ونشّت الاحجار

مؤلف الدلالة اللامعة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

الدلالة اللامعة كتاب جدلي جليل مدار ابحاثه عن وحدة الكنيسة الجامعة الرسوليّة فحقيقة الرئاسة البطرسيّة العامّة وما تتفق به الكنيسة الغربيّة والشرقيّة في المعتقد كالانبثاق والمطهر وما تفترق به هذه عن تلك في الطقوس كالليتورجيّة والفطير والخمير وما يتّصل بذلك ممّا يخالف به المنفصلون المتحدين من الطائفة الملكيّة الكريمة. وقد طبعتهُ المطبعة الواتيكانيّة بنفقة اثيميوس مطران صور المشهور في سنة ١٧١٠ فبقي غفلاً لا يُعرف مؤلفهُ

بل جرى على الالسن وتناقلهُ الخلف عن السلف ان المطران اثيميوس هو مؤلف شتاته ومنضّد بيّناته ورواه نفرٌ من الخاصّة على علّاته من مثل المطران غريغوريوس عطا في مختصره التاريخي (ص ٢٩) ونقلهُ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي في الشرق الاغرّ (٥: ٧١) وحضرة الفاضل الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي في مجلة المسرّة (١: ٦٦٠, ٣: ١٨) الى غير هؤلاء من رجال هذا العصر المعروف بعصر التنقيب والاستقراء

فرأيت من الواجب ان انبه خواطر العلماء الى حقيقة مؤلفه على ما عثرتُ عليه اتفاقاً في اثناء مطالعاتي الطويلة معتمداً فيه على رواية المعاصر وهو خير ما يُركن اليه في مثل هذه التحقيقات. وليس من قصدي الغض من قدر الطران او الازراء على احدٍ من هؤلاء الافاضل بل مجرد تمحيص الحقيقة مما علق بها فا هو باول كتاب عُزي الى غير مؤلفه بل له اشباه ونظائر على ما يعلمهُ كل من وقف على كتب الاوائل والاواخر

...

لا يجهل الخبير ان المطران افتيميوس الصيفي قد كانت غيرتهُ تحملهُ على ان يجهر بالحقّ دون خوف وان يتصدى لكل مناوئ له يحاور هذا ويناظر ذاك بلا توقّف ولا تحذُّر. فمن هذه صفتهُ لا يضرب عن اسمهِ في صدر كتاب مثل الدلالة اللامعة

وكان — رحمهُ الله — من اقوى انصار الارتداد او الاتحاد في عصرهِ لا يدّخر وسعاً ولاسيما في سبيل الحضّ عليهِ والترغيب فيهِ كما ذكر عنهُ العلّامة فرحات. فكان تصريحهُ باسمهِ في الكتاب على منزلتهِ المعروفة بين قومهِ ادعى الى الثقة والاعتبار كما هو ظاهر. وكل ما تركهُ من آثارهِ الادبيّة ذكر فيهِ اسمهُ صريحاً فلا يخلو من سرٍّ اغفالهُ صدورَ الكتاب من قلمهِ بعد تصريحهِ فيهِ بطبعهِ له على نفقتهِ وذاك اولى بالذكر من هذا. فهما كان السبب الذي اضطرهُ الى التكتّم في الاول فانهُ كان يدعوهُ الى التكتم في الثاني ايضاً كما لا يغرب عن ذوي الالباب

وقد جاء في مقدّمة الكتاب ما نصهُ « . . . وليس من « رتبتي » النظر الصائب . . . ولا مندوحة لي بان امدَّ يدي التي لم تطل الى ما يتعلّق بالديانة المسيحيّة والامانة الارثوذكسيّة » مما يشعر بان قائلهُ عاميّ لا اسقف مثل افتيميوس الذي كان في عهده كلّا في الكلّ ينادي على رؤوس الاشهاد : « بان الطقوس والعوائد صنم الروم فيلزمني كسر هذا الصنم »

بل انَّ من عارض هذا الكتاب بما تركهُ المطران افتيميوس من الرسائل والتآليف واعتبرهما بعضهما ببعض يجد بينهما فروقاً ظاهرة في اللغة والسياقة والاسلوب الجدلي. وبالنتيجة ان كتاب الدلالة اللامعة اعلى طبقة واسمى تعبيراً من كتابات افتيميوس

نفسهِ وقد كانت لا تخلو من هجنة العامي التي تدلّ على قلة ضلاعتهِ من اللغة ووقوفهِ على اسرار البلاغة

وزد عليهِ انَّ مثل العلّامة جرمانوس فرحات الذي ترجمَ افتيميوس باسهاب في كتابهِ ديوان البدع لا يذكر لهُ هذا الكتاب في جملة ما ذكرهُ من اعمالهِ وآثارهِ. فالذي يبدو لخاطري ان ارتداد الياس فخر الطرابلسي من الكثلكة وكون الكتاب ليس لهُ في الحقيقة من جهة واعتناء افتيميوس بطبعهِ لهُ على نفقتهِ من جهة اخرى هو الذي جعل العامّة ان يعزوا الكتاب للثاني لا للاول كما لا يخفى

. . .

اجل قد ذكر المطران غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم (ص ٢٤) ان كتاب الدلالة اللامعة التأليف المشهور هو لافتيميوس لا لالياس فخر الطرابلسي. ولكني لا ادري على ما يعتمد والى ما يستند في تحكّمهِ هذا الظاهر في نسبة الكتاب في حين ان كل الادلّة متضافرة متظاهرة على مخالفتهِ مخالفةً صريحة كما يبدو لك من اضعاف هذه الفقرة الوجيزة

فقد اومأ العلامة الشماس عبدالله زاخر من طرفٍ خفي الى نسبة الكتاب الى الياس فخر في ردّهِ عليهِ بقولهِ فيهِ: « انهُ اعترف سابقاً بحقيقة هذا الايمان اظهاراً لنفسهِ انهُ على الحقّ اليقين من معرفة الاقوال الابوية وصحّة التعليم المستقيم—متحلّياً باثواب غريبة — رغبةً في المجد والشرف عند كثيرين » اه عن مقدّمة زاخر على كتابهِ المحاورة الجدليّة على الكلمات الربيّة

واجلى منهُ ما وجههُ العلامة الاب بطرس فروماج اليسوعي الى ابن فخر في ردّهِ عليهِ حيث قال: « أ. ا انهُ اتخذ كتاب البادره ميخائيل نو اليسوعي الذي بهِ يبرهن بدلائل كثيرة مقنعة رئاسة البابا المطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه مرفوضة من الروم واصلحَ إعراب هذا الكتاب ونسبهُ الى نفسهِ كأنهُ هو مصنّفهُ ومؤلّفهُ من كتب الكنيسة الشرقيّة ليقنع بهِ ابناء جنسهِ المنكرين هذه الحقائق... » اه

الى ان خاطبهُ بما حرفهُ: « فاتلُ الكتاب المتقدم ذكرهُ الذي نسبتهُ لنفسك—متحلّياً باثواب غريبة — كما ذكر عنك ابن زاخر اي اتلُ كتاب « الدلالة اللامعة » الذي بهِ

اعترفت ظاهرًا بما قبلتهُ من تعليم المرسلين المؤيد بشهادات آبائك القديسين. . . » ا ه عن مقدّمة الاب فروماج على رسالته الجدليَّة التي دحض بها مزاعم ابن الفخر في تقديس الاسرار الالهيَّة

فلو ان الاب فروماج والشماس عبد الله زاخر القيا كلامهما على عواهنهِ لنهض حينذاك عليهما ابن الفخر وزيَّف قولهما فيهِ وكذَّبهما في ما افتأتا بهِ عليهِ ولكنهُ جرَّ ذيل الصمت على ذلك كلهِ كأنهُ لم يكن شيئاً مذكورًا خوفَ الفضيحة والعار فكان بهذا وذاك الدليل الكافي والشاهد المقنع

. . .

فالنتيجة اللازمة ان كتاب الدلالة اللامعة هو من تأليف الاب ميخائيل نو سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة الجليلة وقد اشتهر (رحمهُ الله) في اواخر القرن السابع عشر بتا بذلهُ في حلب من جليل المساعي والجدم في جنب الدين والعلم ولديَّ فقرٌ من حياتهِ واعمالهِ ارجئها الى فرصة اخرى ان شاء الله

واماَّ مهذِّب عبارتهِ فهو الياس فخر الطرابلسي ترجمان قنصليَّة انكلترة بحلب وقد رأيت انهُ نكَّب عن العقيدة الكاثوليكيَّة بعد ان دان بها مدَّةً من حياتهِ مناضلًا عن اراء نقيلاوس كباسيلا وساوسطس الدرابزوني في كلمات التقديس والافشين اي دعوة الروح القدس ففنَّدها العلامة الشماس عبدالله زاخر اشدَّ تفنيد. ولي في ابن فخر مقالة ضافية تظهر قريباً ان وفق الله تعالى

واماَّ المطران اثنيميوس فلهُ الفضل الاظهر لطبعهِ الدلالة ونشرهـا بين ايدي طائفتهِ الجليلة فقد افاد هذا الكتاب جزيل الافادة في حركة الارتدادات التي جرت في اوائل القرن الثامن عشر رحم الله مؤلفهُ وجزى ناشرهُ خير جزاء انهُ سبحانهُ ولي الرحمة والاحسان

المشرق — نشكر كل الشكر حضرة القسّ جرجس منش على ايضاح حقيقة كنَّا اشحناها سابقاً في ابحاثنا عن قدماء المرسلين اليسوعيين في حلب لكنَّنا عدلنا عن الاعلان بها خوفاً من ان نبخس حقّ الطيب الذكر المطران اثنيميوس صيفي. بيد ان الادلة التي استند اليها حضرة الكاتب تميط اللثام عن وجه اليقين. ولدينا برهان آخر قاطع على صحة مقالهِ وهو الكتاب الاصلي الذي وضعهُ الاب ميخائيل نو لدحض الروم المنفصلين بخصوص القضايا المخس

التي ذكروها. ففي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة قد سقط منها بعض اوراقها الاولى. ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب هو الذي اشار اليهِ الشماس عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج في ردّهما على الياس فخر الطرابلسي. فقد قابلناهُ بكتاب الدلالة اللامعة المطبوع في رومية ثمَّ في القدس فاذا الكتابان واحد الَّا انَّهما على ترتيب مختلف من تقديم فصول وتأخيرها وتقسيم ابواب مع اختلاف في اللهجة والتعبير فنقح الياس فخر انشاء الاب ميخائيل نو وغيَّر ترتيب الكتاب فظنَّ انَّ ذلك كافٍ لينسبهُ الى نفسهِ زورًا. واهمّ ما في كتاب الدلالة اللامعة الشواهد العديدة المقتطفة من تآليف آباء الكنيسة اليونانيَّة باصلها اليوناني وتعريبها. وهي كلها في نسختنا باللغتين اليونانيَّة والعربيَّة فنقلها الياس فخر بحرفها. فنكرّر شكرنا لحضرة القسّ الفاضل المدقق وتمنّى ان يتحفنا قريبًا بما وعدنا بنشرهِ من ترجمتي الاب ميخائيل نو والياس فخر ل. ش

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

فبعد مدَّة ايام ظهر ابنا الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز وتولوا لعكا بطابقة سيتهم اليزبكيَّة فلبسهم الباشا حكام بالجبل وهما حسين وسعد الدين وطلعوا للجبل وطردوا الامير بشير واخيه حسن وبشير جنبلاط واستقاموا حكاماً اياماً. ومن طمع الباشا رتَّب عليهم مالًا كثيرًا وقبلوا فيه غصباً وصار طلب القرش من الناس بما يفوق الاحتمال. فمن اتصال الطلب هاجت العامة وطردوا اولاد الامير يوسف ورجَّعوا الامير بشير

ثم ان المذكورين حضروا الى مينين واستقاموا بها اياماً كثيرة وكان والي الشام عبدالله باشا العضم. وبعد مدَّة قدموا اعراض للجزار وجاهم الطلب وتوجهوا من مينين لعكا

وتحكم بتلك السنة حضروا الفرنسويَّة لمصر في ابتداء سنة الف ومايتين وثلاثة عشر (١٧٩٨ م) ثم حضر الفرنسويَّة وحاصروا عكا والاماره المذكورين كانوا في عكا واحتملوا شدَّة الحصار وقاسوا خوف ورعب واضطراب

ورافت الاحوال وبقيوا الاماره بحالهم بالوعد بغير نجاز الى انهُ في سنة الف

ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) بعد ذهاب وزير الاعظم من الشام بشهرين لبَّس الباشا اولاد الامير يوسف حكام بالجبل وارسل معهم نحو سبعة الاف نفر عسكري وظهر الفرض. وقام الامير بشير واخيه وجنبلاط وراحوا برّ طرابلس وحكّموا اولاد الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز تحت مال معلوم ووضعوا رهينة الامير سليم وحومة جرجس باز في عكا. وابتدا جرجس باز يفرض مال على الناس من مشايخ وعامّة ومطارنة ورهبان حتى ما بقي احد سالم من دفع غرش حتى من الغريبه (الاجانب) وكل مدّة يجدّ طلب وشي. ما له نهاية

فمضى قريب سنتين وما عاد احتمل الاهالي (179٠) كذا مظالم. فقاموا بغتة بشراسة كليّة على الحاكم ورواح اناس جابوا الامير بشير والباقي وكبر الوهم على الاماره وكيخيتهم. فاقتضى انهم نزلوا لحرش الشوير لبيروت واعلموا الباشا بما صار. فارسل عساكر وافرة والاماره راحوا الجبل ومعهم عسكر قليل. ثم ان الامير بشير عمل ديوان بالشويفات وحضروا الاماره ومشايخ البلاد نصارى ودروز واتفقوا انهم يكونون راي واحد وروح واحدة ليس كما صار قبلًا. واذا كان يتمّ هذا فيتحد معهم على مدافعة الباشا والّا فلا يفارشهم بشي. فصرخوا جميعاً بصوت واحد انهم على قولهم ثم حلفوا الاماره والمشايخ على كنيسة السيدة بالشويفات انهم لا يخونون ولا يصدر منهم اشيا. مغايره كلياً. وهكذا جمهروا واستعدوا لمحاربة الاماره وعسكر الباشا

فحصل مواقع بين الجهتين وراح قتل (قتلى) والعسكر نهب الاماكن بالساحل. وظهر ان عسكر الباشا متقوي على عسكر الجبل. وبعدهُ انفهمت القضيّة: هو ان جهجاه عماد ظهر منهُ انحراف خفي ولما يصير حرب يعطي كسيره ويومي للعسكر انهُ يهجم ولا يخاف وهذه رابطة بينهُ وبين جرجس باز. فلحظ البعض من جهجاه ولاموه على عمله. فيصير يحلف ويلعن انهُ ما هو بادي منهُ ما يظنونهُ فيه. اخيراً صار وقعة مشومة وعسكر الباشا وصل للشويفات واشتدّ القتال حتى عسكر الدروز ترفع للجبل والعسكر دقّر (توقف) بالشويفات ونظروا خيّال درزي وهو هارب من قدامهم تنتظر عند كنيسة السيدة الذين كانوا حلفوا عليها. فركضوا عليهِ وقطعوا راسهُ وهم فرحانين انهم قتلوا رجل كبير ويصير لهم بخشيش وافر. فرجع العسكر للحرش لمقره ومعهم

جملة روس · ومن الجملة الرأس المذكور · فرموهم قدام جرجس باز فوكدهم (حدّق اليهم) نظر بينهم راس صاحبه جهجاه عماد · فانغم غمّاً عظيماً وشتم الذي قتلهُ وكان معذوراً لانهُ لا يعرفهُ · ومن وقتهِ ارتخت (179°) عزائم جرجس باز ونظر انهُ مـا بقي نتيجة الّا بالوفق والصلح ان امكنهُ ذلك · فارسل معتمداً سرّاً للامارة والمشايخ يعرض لهم امر الصلح تحت شروط · فقبل الجميع ذلك وارسلوا لهُ رضاهم الوثيق · وبالحال كتب للاماره لجبيل يتركوا العسكر ويترفعوا من الساحل

وحينما فهم ارتفاعهم هرب من بين العسكر ليلاً وطلع لعند الجماعة المقيمين فوق الشويفات · فاصبح العسكر ما وجدوا قائدهم وتحققوا انهُ هرب للجبل · فخافوا خوفاً عظيماً ونزلوا الى المدينة يتحصنوا بها · فارسلوا علم للباشا بما حصل فكان الجواب يحضروا حالاً لعكا · وحالاً توجهوا برّاً وبحراً

ثمَّ انَّ الاماره والمشايخ راحوا لدير القمر وصار ديوان غفير وتصالحوا وتسالموا مع بعض · ثمَّ جددوا القسم مـا بينهم على كنيسة سيدة التلّة المشهورة بالدير انهم يكونوا حال واحد ورأي واحد والخاين يخونهُ الله

ثمَّ حصل التدبير كيف يكون حال الاحكام · فصار الوفق والرضى ان الامير بشير يضبط حكم دير القمر الى حدود بلاد جبيل وابنا الامير يوسف يضبطوا حكم جبيل · ولكن بتدبير الحوادث وخلافها التي تجدّ بالبلاد كلها فيكونون يتعاطوا بتدبيرها الجهتين · وانتهى الحال هكذا · واذا طلب الباشا منهم مال الميري المعتاد فيرسلوا لهُ ما ينحاش لوقتهِ · ومضى تلك السنة ما انطلب منهم شي · والباشا مـا سأل عنهم ولا بدا منهُ شيٌ لنحوهم · وجرجس باز استقام في جبيل مع الاماره والبلاد راقت واستكنت نوعاً لعدم المظالم وطلب القرش حيث عدم وجود السبب · وكان ذلك في سنة الف ومايتين وسبعة عشر (١٨٠٢ م) واستقام الحال هكذا ايام كثيرة

وفي باطن (اثنا·) سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣م) حسن عند الامير بشير يصالح الباشا ويخلص من الغوايل ولكن لا بُدَّ جدَّ مقتضى الذلك : اوّلاً لعدم حرية الامير بالاحكام وكأنّ الرايات صارت كثيرة · وجرجس باز مقبول بالبلاد اكثر · والامير حسن اخو الامير بشير طبعهُ (180°) ردي وحسود والامير بشير صاحب شهامة ويحب القرش واعتاد على السطوة ونفوذ الامر في كل الاشياء · والشيخ بشير جنبلاط عدوّ

للجهتين اي الامير بشير ولاولاد الامير يوسف ويرغب ان كل امر يجد يكون بشوره واطلاعه. ولكن ميلهُ وغرضهُ مع الامير بشير اكثر. والمذكور يلزم يداري الجميع وهذا يصعب عليه جداً. فاعتمد على مصالحة الباشا وبالمداورة ارضى جنبلاط وجرجس باز بذلك وارسلوا واسطة لعكا الذي يحسن تدبيرهُ جلب خاطر الباشا لنحوهم. وبوقته كان مبتدئ به تشويش الباشا فرضي عليهم وارسل خلعة للامير بشير فقط. ولكن هما بقيوا على اتفاقهم الاصلي مع بعضهم وابتدا الامير يرسل اموال الميرة

وانما الحال ما طال لان الباشا زاد مرضهُ وهو علة الاستسقا وقاسى اوجاع كثيرة وهو بهذه الشدة ومنهمك في امور كثيرة بامور الاحكام: (اولًا) انهُ كان بيده منصب الشام بهذه السنة. ثمَّ جاء لهُ منصب مصر وزينت ضياط (دمياط) من فرحهم بحكومته والمتولج بالتدبير والاحكام الشيخ طاها الكردي الذي كان يتعمدهُ جداً وحاييم اليهودي والذي صدر من المظالم والعدوان بالشام ما سبق نظيرهُ. وفي كل زمان حكمه وكله من تدبير طاها المذكور. والباشا عيان من مرضه ومسلم الامر لغيره. والاحوال بهذا الاضطراب. فقضى نحبهُ الباشا مات في ابتداء شهر محرَّم سنة الف ومايتين وتسعة عشر (١٨٠٤م) وذهب من الدنيا وما استفاد سوى الوبال. وقبروهُ ضمن الجامع الذي بناه

ثمَّ ان العسكر الموجود بعكا ظهر منهُ عين غدر وطاها الكردي والواقفين في باب الحكم تحسبوا جداً. وبالحال اخرجوا اسماعيل باشا من السجن وهذا كان حاشه الباشا وغضب عليه. ولا نعلم امرهُ وقاموه (180*) حاكماً ومسك البلد وهديت العساكر والاهالي من الشلش بوقته

وقد زعم قوم ان مدة حياة الباشا لحين وفاته نحو ثلاثة وسبعون سنة منها تسعة وعشرون سنة حاكماً. واصل منشاه من بلاد البشناق. حضر لمصر وخدم عند علي بيك حاكم مصر وتقدَّم عندهُ نظير كاشف واعلى من ذلك. وحينما قتل علي بيك هرب لبرّ الشام ثم توجه لاسلامبول. صادفهُ توفيق وبسماح الله تعالى صار والياً على صيدا. والذي صدر من هذا الباشا من المظالم والمساوي والقساوة المريعة ما سُمع بمثله منذ دهور عديدة. واذا اردنا نشرح اعماله كلها يقتضي مجلدات. اولًا انهُ اتصل

لقتل وزراء وافنديه ومفتيه وقبوجيه واغاوات · ويرضي السلطان بالمال والمداورات ويتغاضوا عنهُ · ثم خرب هلقدر بيوت مستورة بسلب مالهم ظلماً · ومنهم عدمهم الحياة عدواناً · ومـا كان عندهُ حنيه ولا شفقة · وكل من يخدمهُ آخرتهُ العدم كمثل بيت السكروج مخايل وبطرس خدموهُ زماناً وتركوا ذمتهم لكي يرضوهُ وكان يميل اليهم جداً · وفيما بعد عمل عليهم ذنوب كاذبة فخنقهم ورماهم بالبحر · والامير يوسف شهاب الذي كان يحبهُ وحينما هرب من مصر لدير القمر واكرمهُ الامير كثيراً واسعفهُ باشيا · كثيرة وخلافهُ حينما راح لاسلامبول · وبعد ما صار وزيراً خدمهُ بالمال وغيره ويمشي كل امر يطلبهُ · اخيراً انتهى الحال بعـد تلك الصحبة والمعروف اماتهُ مشنوقاً وبقي معلق ثلاثة ايام خلاف العوايد

ثم عادى طايفة الفرنسوية وطردهم مع قناصلهم من يافا وصيدا وعكا · وخرب نظام الناس وحين حضروا الفرنسوية لمصر ضبط مبالغ رز وغير اشيا · للتجار بكل الساحل واكل حقه · ثم كل مركب يحضر من البر المصري هارباً من وهم (١٨١٠) الفرنسوية يضبطهُ ويقتل البحرية والركاب · والذي جرى من هذا الباشا من البادي والاضرار بالناس ما يمكن وصفهُ ولا تقديرهُ · ولو لا تقصر تلك الايام ما خلص كل ذي جسد كما قال السيد بالانجيل · وهكذا لو يدوم هذا الانسان مدة اخرى كان الناس كل تلافها بالمال والحياة ايضاً · فسبحان من ازالهُ وكفى الناس شرهُ

وانما الاغرب من هذا والاعجب كيف يموت على فراشه مع حال افترائه وبغيه ومساويه الفايقة · ولكن لله غايات في احكامه

ثمَّ انهُ بهذه الفرصة هاج المتاولة في بلاد بشارة وملكوا صور بنوع السلطة · واما اسلام بيروت (فانهم) تحسَّبوا جداً من حكام الجبل لئلا يملكوا المدينة او يأذوهم · فتسلحوا واستعدُّوا للقتال وسببهُ انهم اعرضوا للامير حسن يحضر لعندهم لاجل المحافظة من جور عامة الدروز الذي تكرَّر في ساحل بيروت · فما قبل رجاهم مع اخيه الامير بشير وصاروا باضطراب لحين حضور الاوامر السلطانية باثبات حكم عكا

ثم ظهر عداوة بين اهالي وادي التيم وحاصبيا وبين اسماعيل باشا وهي كانت بغياً وافتراء منهم · فارسل الباشا مبلغ عسكر وكبس القرايا المذكورة وقتل أنوف

من مايتين نفر واخذوا اسرى نحو ستين نفرًا . وكانت وقعة مشومة جدًا . فوصل الخبر الى الشيخ بشير جنبلاط . فجمع عسكر دروز ومتاولة وتوجهوا لناحية بلاد صفد ولكن بعدهُ قرّت الامور وما حصل شيء مكدر

ثم ان الطرقات تلخبطت من عدم ركز الحكومة . فاتفق ان قفل حجاج قادم من الشام لبيروت وصل قريب قرية فالوغة . فحصل مشاجرة بين الركاب واحد المكاريه . فضربهُ الحجاج وقيل انهُ مات فانطرح الصوت فاجتمع دروز ونصارى وصار قتل ونهب من القفل فوصل الخبر لبيروت . ظنوا انهُ مع القفل بيارقة من جماعتهم وان الدروز قتلوهم . فحالًا حاشوا جملة جبليّة وجدوهم بالدينة (181°) وسكروا البوابات . فبعدهُ حضر كتابة من الامير بشير الى متسلم بيروت باطلاق المحبوسين وكان ظهر حقيقة ما حصل ومضى الامر

ومما وجدناه تأليف شعر بتاريخ موت الجزار عند الذين خرّب ديارهم في اواخر حكمهِ:

وافا السرور وصحّ ترجيحُ الامل	بهلاك غاشم لا يعادلهُ مثل
عين المظالم والمآثم والردى	شرّ العوالم ان تفكّرْ او عمل
احمد ولكن ليس يُحمد بالورى	مغضوب في ثوب المساوى قد دخل
جزّار الكن للفضائل جازرٌ	مهدي ولكن بالرذايل قد حفل
بحياتهِ كان الغلا ثم الوبا	والقحط والجور الذي لا يحتمل
وبموتهِ زال العنا يا حبذا	هذا المنى غاب التعدي والوجل
جاز المقدّر عند مالكٍ يجتدي	فيض الهالك في جحيم لم يزل
لله درّك يا منون فقد بدت	منك الحياة وطاب حكمك واعتدلْ
فاز الانام وارّخوهُ بقصدِ	هلك الشقي والى جهنم قد رحل

١٢١٩

ثمَّ في اوايل ربيع اول السنة المذكورة جاء المنصب الى ابرهيم باشا والي شام بولاية صيدا وطرابلوس . وحضر منهُ اعلام الى امراء الجبل يحرضهم على محافظة البلاد ويكونوا مطمأنين وما يصدر منهُ الّا ما يسرُّهم . وطلب حضور جرجس باز للشام لواجهتهِ . وحضر المذكور واطلع على الاوامر الشريفة الواردة للامير بشير من

السلطان ومكتوب من الوزير الاعظم مضمونهُ الامر ان يكون بطاعة ابراهيم باشا ويتمم امرهُ ويسعف في اصلاح برّ صيدا وبيروت وصورة الفرمان محررة باطن هذا الكتاب في ولاية ابراهيم باشا على الشام. واماً هنــا فنشرح صورة مكتوب الوزير الواردة للامير بشير وهو هذا :

(١82٢) قدوة الاماثل والاقران ساكن ايالة صيدا الامير بشير زيد قدرهُ

« بعد السلام المنهى اليك انّ في هذا الاثنا جزار احمد باشا والي صيدا اوتحل لدار البقا وايالة الشام وصيدا وطرابلوس شام واميريّة الحاج توجّهت لعهدة سعادة ابراهيم باشا. وسعادة الموى اليـهِ حسب المأموريّة يقوم حالاً لمنصب صيدا لاجل ضبط وربط المالكة ورفع شرور ارباب الفساد. وانت يا ايها الامير الموى اليـهِ تظهر حسن الصداقة وتكون برأي وامر وتحرير المشار اليه بكمال السعي وحسن الخدامات المرضيّة والصداقة والغيرة بموجب الامر العالي شأن الوارد اليك. انشا الله في وصولهِ تظهر كمال الغيرة والسعي وتكون عاملاً بموجب الاوامر من غير خلاف والسلام »

وكذلك صورة هذه الفرمانات حضرت الى يوسف جرار بنابلوس والمضمون جميعهُ لاجل ضبط البلاد. وبالباطن ان لا احداً يلتفت لناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد العصاوة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابراهيم باشا وصار عندهُ عساكر وافرة

وفي شهر صفر حينما نظر الباشا المذكوران الشيخ طاها الكردي عمال يوزع من خزينة الجزار خفية خارج البلد وقصده يهرب الى بلادهِ وقيل الذي اخذهُ الوف من الف كيس فعمل الباشا حيلة لقتلهِ بطريقة قاسية. وهي انهُ اخرج امعاه من بطنهِ وهو حيٌ الى انهُ مات. وجماعة الكراد هربوا من عكا حالاً والباشا تحصن جداً وارسل الفين عسكري لصيدا والف الى جسر بنات يعقوب لانهُ صار باحتساب من ابراهيم باشا المزمع يحضر نحوه بعساكر وافرة لطردهِ من عكا

وبغضون ذلك ورد مراكب باليك من اسلامبول ليافا والعمارة العثمانيّة توزعت بالجزر مثل قبرص وروديس. ومعهم اوامر ان كل مركب موسوق من سواحل برّ الشام فيقع عليهِ الضبط ويدوم اليسق هكذا الى ان يصلهم علم (١82٠) ثاني. والمضمون حسب الواقع انهم خاشين من توزيع شيئاً من مال الجزار

وجاء منصب صيدا الى سليمان باشا مملوك الجزار وهذا كان ارسلهُ الجزار العام الماضي امير حاج . فحضر للشام بالحاج . وبلغهُ موت الجزار فاستقام بالشام وحصل لهُ مودة كليَّة مع ابراهيم باشا

ثم بهذه الفرصة لحكام جبيل تحرك الامير حسن اخو الامير بشير على اخذ الكورة ناحية طرابلس . وحيث ان مصطفى بربر لا يتركها للامير حسن فتوجه الامير المذكور بعسكر لمحاربة بربر . وحصل الكون (القتال) بينهما وعسكر الامير قتل ابن عمّ بربر وقتل كم نفر من المتاولة . واشتدت الامور وانطرح الصوت بالجبل وكان يصير شرّ عظيم . وما هو وقت كذا شرور نظرًا لترقيف امور عكا

فابراهيم باشا ارسل علم الى بربر يرفع القتال ويلزم القلعة . ثم ارسل الخلاع للامير بشير بحكم الجبل . ثمَّ خلاع الى ابناء الامير يوسف بحكومة جبيل . وانتركت مادة الكورة وهديت الاحوال . وجرجس باز حصل لهُ عزازة واكرام زايد من ابراهيم باشا

وبهذا الغضون وصل يوسف الجرار من نابلوس للشام لمواجهة الباشا . المذكور وجرجس باز اعتمد الوزير باخذهم معهُ لصيدا . وعين عساكر كثيرة ومهمات الحرب . ثم في ربيع اول وصل اغاي الانكجاريَّة حضر من اسلامبول لبيروت . واخبر انهُ قادم المهزة الكبيرة لعكا واسماعيل باشا لا زال يعين عسكر وارسل مبلغ لصيدا وبيروت ومدافع ويحرضهم على الحصار

ثمَّ في احد عشر تموز موافق ستة عشر ربيع الثاني قام ابراهيم باشا لصيدا بعساكر وافرة . وقبل بيوم ارسل سليمان باشا لصيدا ايضًا وجرجس باز والجرار توجهوا مع ابراهيم باشا . ولكن الجرار يذهب لنابلوس لجمع عسكر وفي صيدا يصير التدبير في كيف يكون في مادَّة عكا . فبوصول الباشا الى صيدا سلموا من غير حرب وكذلك بيروت ولكن قبلًا كانوا مستعدين للحرب . حتى حين وصل سليمان باشا (183٤) لصيدا ونظروا العسكر الذي معهُ قليل فابوا التسليم وقصدوا يحاربوهُ . لكن بوقتهِ تكاثر العسكر البراني ثم سلموا . وابراهيم باشا ارسل متسلم الى بيروت وطلب المفتي وبعض الوجوه يحضروا صيدا . والامير بشير توجه بعسكر استقام في جسر الاولي في صيدا لحين حضور الوزر واستلموا صيدا . رجع لجون من غير ان يواجه الوزر . واما ابراهيم باشا طلب من الامير مال لاجل

مصروف العسكر وفرض بالجبل مبلغ وارسلهُ . ثمَّ انَّ الباشا قام على عكا بالبرّ وسليمان باشا توجه بالبحر بقصد يصل حالاً ويحكي مع اسمعيل باشا

ثمَّ انَّ بشير جنبلاط عين عسكر دروز وكبس بعض قرايا نواحي عكا وقتل من عسكر ابراهيم باشا مبلغ ورجع لمحلهِ . ومن خصوص مفتي بيروت والباقي بقيوا في صيدا مدَّة ايام لان الباشا طلب ثلاثماية كيس دفعوا مايتين باقي عليهم ماية كيس . والمبلغ المذكور قرض يستوفوه من ديوان بيروت

وفي هذه الايام لما نظر الشيخ بشاره الخازن الذي زوق مكاييل تبعهُ والتجار نزحوا منهُ لجونية بسبب ميزان الحرير هناك الذي كان مدخولهُ للامير حسن شهاب اخو الحاكم وقبلاً ميزان الحرير كان بالزوق واخذهُ الامير غصباً فالشيخ بلغ جهده في رجوعهِ للزوق فلم ينال فايدة . فتوجه لصيدا لعند جرجس باز وترجاه بامر الميزان . فاخرج لهُ امر من الامير بشير لاخيهِ بابطال الميزان من جونية ورجوعهِ للزوق . فما قبل الامير حسن وثبت الميزان في جونيه والشيخ بشاره ما استفاد من كل سعيهِ

وبهذا الاثناء صدر مناداة على المعاملة : المشخص بتسعة غروش ونصف . والمفرشخ ثمانية ونصف . وربع الفندقلي قديم بثمانية وربع . والسليمة بسبعة ونصف . وربع ريال فرنجي باربعة غروش . وعملة عثملية البياض في الماية خمسة . وصار بذلك راحة للناس حيث بهذه المناداة تساوت الاسعار بحلب والشام وما عاد خسارة

ثم انَّ ابراهيم باشا بوصولهِ لعكا سكر اسمعيل باشا البوابات واعتمد الحصار داخلاً وعسكر ابراهيم باشا متحاوطة (١٨٣٢) عكا برّاً وعساكر البحريَّة بحرّاً . والباشا ترك العسكر وتوجه (الى) نابلوس والقدس يجمع مال الدوره وجرجس باز حضر لدير القمر وسليمان باشا بقي مع العسكر في حصار عكا . ثم صح من اشار على اسمعيل باشا يكبس العسكر ويرجع لعكا بعد ان يكون ارمى وهماً . واكد لهُ انهُ بذلك يحصل لهُ خير عظيم . فسمع منهُ وطلع مع قوة عسكرهِ فكان الذي اشار على اسمعيل باشا هو نفسهُ اخبر سليمان باشا بما صار . فاستعدَّ جيداً وحصلت المعركة بينهم وقتل من عسكر عكا نحو تسماية نفر ومسك بعض من الاغاوات والباقي شردوا بالبراري والذي بقي ودخل عكا قليلين جداً . وضعف سعي اسمعيل باشا واعتمد على التسليم على يد قبطان باشي الذي اشار عليهِ وشركاهُ بهذه الوقعة . وكان

متخذه اميناً وصاحباً. وبعد ايام قريبة انحاش اسمعيل باشا. من يقول (يقال انهُ) كان هارباً من عكا وقالوا انهُ سلّم حالهُ. ودخل سليمان باشا لعكا وبعد ايام حضر امر من الدولة بطلب اسمعيل باشا وارسلوهُ بالبحر مقيَّداً. وبوصوله لاسلامبول قيل ان الوزير الاعظم رثى لهُ وصدر الامر بنفيهِ لقلعة وبعدهُ صح الخبر انهم قتلوهُ. وتحقق المنصب باسم سليمان باشا. وابراهيم باشا انعزل حتى من ولاية الشام وراح لبرّ حلب

ثم انَّ سليمان باشا وراغب افندي الذي كان حضر من طرف الدولة صاروا يبحثوا عن مال الجزار فما وجدوا شيئاً يحرز خلاف الذي كان ارسلهُ اسمعيل باشا للدولة مع القبطان باشي في اوَّل الحال من مال وتحف. يقولوا انهُ كان تبلغ ثمانية الاف كيس. غير ان اسماعيل باشا اصرف مالاً كثيراً على العساكر والاغاوات قبل الحصار وبعدهُ. فهذا ما جرى من وجود الجزار وبعده في جرّتهِ (اي بسببه) والحمد لله من محى ذكرهُ واسمهُ

ثم ثبت حكم صيدا وعكا الى سليمان باشا. وكان عندهُ جملة من مماليك الجزار. من الجملة علي اغا ابو عبدالله باشا. فهذا صار كتخداه وجاب لهُ منصب طرابلوس. ولكن استقام في عكا ما خرج منها (184) كل حياتهِ. وباقي المماليك مثل محمد اغا ابو نبوت وغيرهِ جماعتهم. تسلمين في حكمهِ وحاييم الصراف بيدهِ الحلّ والربط وبالجبل الاحكام كما هي

ثم بعد ايام اجتهد الامير بشير وجرجس باز في اخراج الامير قاسم والامير سليم الذين كانوا رهينة بزمان الجزار. وبعد جملة رجاوات سمح سليمان باشا بطلوعهم لعند اهاليهم وبكلفة وافرة

ثم بوقتهِ طلعت اخلاع الحكم للامير بشير بحكم دير القمر واخلاع حكم جبيل من طرابلوس لابناء الامير يوسف واستكنت احوال الجبل للنهاية. وسليمان باشا يحب السلامة ومشايخ البلاد متفقين مع بعضهم

فثاني سنة الف ومايتين وعشرين ظهر من دروز المتن مطاولة على امرائهم. وتسلطوا على اراضي البقاع يزرعوا ويفلحوا. وصارت الفلاحين بارض البقاع وبعلبك مثل عبيد لهم. وربما ياكلوا المعِي على اصحابها ولا يهابوا حكامهم. وهنا التعصب بادي

منهم من زمان من اختلاف الاحكام من الجزار والامير بشير مـا كان يلاحظ بوقتهِ واتّصلوا بالوقاحة والفجور لهذا الحد. والآن اقتضى بفرض الحكم فرض وزيادة ميري لاجل وفا المطلوب منهم من طرف عكا اولًا لشان طلوع الامارا الذين كانوا مرهونين ثم مال الميري وعوايد وخلافهُ. فالجميع امتثلوا للامر عدا دروز المتن ما قبلوا يدفعوا غرش واحد. مع ان الذي يخصهم شي. جزئي. فعزموا على العصاوة واظهروا رداوة بليغة لنحو الحاكم وطردوا الحواليه. فانحق منهم الحاكم من جورهم ورداوتهم ليس في حقهِ فقط بل في حقّ حكامهم الذين يأكلوا منهم نفع كل سنة حتى اتّصل أذاهم الى العامة ايضاً في قرايا البقاع وبعلبك وزحلة والجبل نفسـه. وما كانوا يرتدُّوا عن شي. مـا لاح لهم من ضرر ونهب وقتل ايضاً فلا شي. يمنعهم حتى اتعبوا بيت الحرفوش ايضاً واختلسوا اراضي قرية الكرك وجمعوا غرش يحرز (١٨٤٢) من مدخول الغـلال وغيرهِ. ويوجد منهم طايفتين بيت القنطار وبيت حاطون ازدادوا بالبشاعة والرداوة ابلغ من غيرهم وصاروا في زحلة يجرمون الناس ويساوون الفحشا. وما من احد يقدر يمنعهم. ولهم ظروف عديمة الاحتمال. وهو انهم طلقوا امرأة من زوجها وزوجوها لغيرهِ وبعـدهُ رجعوها للاول. وهم من اسلام زحلة وكلهُ من البواطيل. واحدهم خطف امرأة من جانب زوجها وعمل معها الردي ورجعها. وبالنتيجة صدر اشيا. كثيرة من هؤلا. الارديا الغاضيب ظاهر ومخفي وضيعوا الناس ومـا احد يقدر يراجع ويشتكي حتى ولو اشتكى لا يستفيد شيئاً. ثم قتلوا رجلًا غريباً نصرانيّاً كان خارج من زحله. لحظوا ان معهُ دراهم فقتلوه. وجاوا الزحلة يحكوا قدام الناس انهم قتلوه من دون خوف ولا استحيا

والحاكم صار متهود من هذه الاحوال ويكاتب امرا. المتن بعمل طريقة لطاعة هولا. الارديا. ومقاصرتهم فالاماره المذكورين حيث هؤلا. القوم خدامهم فلا يهون عليهم اباداتهم فيطمعوا بهم سيمة بيت جنبلاط وتلاشي حرتهم ويخف مقامهم. ولكن حيث انَّ هؤلا. الشاحيس ظهروا بالرداوة مع الجميع حتى مع حكامهم بالمتن ولا عادوا هـابوهم ولا يسمعوا لهم كلام حتى اتصلوا انهم صاروا يتطاولوا ويمنعوا غيرهم من الاطاعة ويخربوا في اراضي الامرا. والمشايخ وما عاد شي. يحتمل. فامرا. المتن منصور وفارس انحرفوا لجهة الحاكم وقبلوا في مقاصرة ناسهم حتى هم

ساعدوا بذلك. ثم صدر امر من الحاكم برفع طلب الترش المفروض ورفع الحواليه من كامل المتن

ثم شاع خبر حضور عساكر عثملي لجسر الاولي في صيدا. وطلع منهُ لدير القمر واهالي المتن المتقلين ظنوا انهُ واقع حادث جديد بين الحكام في بعضهم

واذ كانوا مطمئنين في اشغالهم وافترائهم على الناس واذ شاع حضور الامير بشير وبشير جنبلاط والامير سليم وجرجس باز. وصلوا لحمانا والامير بشير قاسم مع العسكر (١٨٥) دروز ونصارى من الشوف. كبسوا قرايا البقاع بالتفتيش على الدروز الارديا من بيت القنطار وحاطون. ومسكوا منهم والباقي هربوا. وكذلك الدروز الذين في بيوتهم لما فهموا الغضب واقع عليهم هربوا للشام ومنهم احتموا بوجاق الدالاتيه. وهكذا صاروا مرتمشين ومضطربين. والذي انمسك حمزه حاطون ونفرين من بيت القنطار قيدوهم وارسلوهم لحمانا وابن حاطون عمل حيلة وهرب. وبقي اولاد القنطار نفرين اخذوهم لدير القمر وسجنوهم هناك

وبتلك الليلة ذاتها التي وصلت الكبسة للكرك كان وصل جانب عسكر دروز مع الشيخ حسن جنبلاط والامير حيدر شهاب الى قرية كفر سلوان المختصة في بيت الحاطون وبيت المغربي وكبسوا القرية ليلاً. فهربت رجال حاطون. فدخل العسكر ونهب كامل رزقهم ومواشيهم. واما بيوت المغربي فما قارشوهم لان الغضب واقع على حاطون والقنطار بنوع خصوصي. ثم توجه العسكر لقرية المتين. فهرب رجال القنطار. فنهبوا بيوتهم وصارت نساهم تضرب بالحجارة وهاج الشرّ وقتل درزي من بيت برداس ووقع مجاريح نصارى. وارتدّ العسكر بعد نهب القرية تماماً. وبعد يومين جاء امر بهدم بعض بيوت بيت القنطار وحرقها بالنار. واما في كفرسلوان فما قام العسكر منها حتى حرق كامل بيوت حاطون وهدمها للارض. ثم حضر امر بحرق بيوت القناطرة التي بالكرك وفي زحلة وبضبط اغلالهم وارزاقهم. وصدر مناداة في زحلة كل من عندهُ امانة او شي من الاشيا. الى حاطون والقنطار يظهرهُ حالاً. وما ظهر شي. والحاكم ما صدقهم. فاخيراً قدموا خدمة خمسون غرارة شعير من عندهم. وبغضون ذلك حضر نحو ماية خيّال من الشام للكرك لاجل المحافظة واستقاموا هناك

ثم بعد مقاصرة هؤلاء الطائفتين (185٢) التفت الحاكم لمقاصرة باقي الطوائف وفرض عليهم منهم ثلاثين كيس ومنهم اقلّ بتدبير الاماره منصور وفارس. وانضاف لذلك بعض قرايا نصارى. فصار طلب منهم غرش وذخاير. القول انهُ بالسابق كان طلب منهم فريضة وما قبلوها وطردوا الحواليه حين كان الجبل عاصي على الجزار. فقصد الآن الحاكم يقاصرهم. وحاطون والقنطار تواقعوا على ضاهر التل شيخ الزبداني وبشير جنبلاط بان يصالحوهم مع الحاكم وما صار نتيجة

ثم بهذا الاثنا حضر امر لرحلة في ضبط كامل بيوت الدروز وذلك العمار فقط والذي لهُ بيت ملك من اباه وجده يثمنوه ويأخذ ثمنهُ من البكليك. وصدر امر لكلّ الجبل ان لا احد يقبل في بيتهِ من هؤلاء الطائفتين قنطار وحاطون ولا يطعموهم ولا يسقوهم

ثم حضر حسن جنبلاط الى بسكنتا من طرف الحاكم بطلب غرش مفرد هذا عدا عن المبلغ اتوف من ثلاثين كيس مأخوذة منهم قبلاً. فهاجت الناس وبالجهد حتى فرضوا المطلوب عمومي. وايضاً صار طلب غرش من اعالي الشوف. وكان البلاد ساوت بعضها. الّا ان مقاطعة المتن اقوى واكثر بدفع الغرش لانهم هما سبب الشرور كلها. والطوايف ذلّوا للنهاية وندموا بما صار منهم. ولكن تلف حال الناس بجرتهم (بسببهم). ثم صدر امر بطرد حريم الطوايف واولادهم من كل الجبل ولا من يشفع ولا يدفع. وامراهم خذلهم والعامة طمعت فيهم وانقطعت قلوبهم من الهم والخوف. كما جرى لهم من البلوكباشي كان قادم من بسكنتا وصحبتهُ المال المأخوذ من القرية المذكورة ومتوجه الى حمانا مع نفرين من جماعته. فصادفه في وادي الجماجم تحت عين القبو اربعة خياله فتحسّب منهم. فانفرد من خدمهِ زلمه لنحوهم وضرب في وجههم بارود من بعيد. فبالحال نزلوا عن خيلهم وهربوا بالوادي مثل الارانب اذا نظروا (186٤) العقاب في كبد السما. وتركوا خيلهم. فاخذ البلوكباشي الخيل وجاء بهم للحاكم وحصل لهُ ولاتباعهِ انعام وافر. وبالنتيجة حال هؤلاء الطوايف اضمحلّ جداً

وفي ثمانية وعشرين تشرين الثاني قام الامير بشير الحاكم من حمانا لدير القمر. وكذلك باقي الامارا والمشايخ كل راح لمحلهِ. وتوكل في زحله عن الامير بشير قاسم

نعمان بلوكباشي درزي واتباعهُ . وعسكر الهواره والدالاتيه الذين من الشام قاموا من الكرك في احدى وعشرين كانون الثاني ومعهم امر من الامير بشير انهُ حين قيامهم يحرقوا كامل البيوت الذين لبيت القطار بالحوش قريب لزحله. فحرقوهم تمام وفرح اهالي زحله في ابادة هذه البيوت الذين هم شر وضرر. وكانوا اربعة وعشرين بيت وما عاد بقي لهم اثر (لهُ بقية)

العسل

نظر صناعي اقتصاديّ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انّ مقالتنا في النحل (ص ٣٥ و١٩٠) تستدعي تتمة البحث في وصف العسل وخواصهِ وانواعهِ وفوائدهِ (١ بعد ان ذكرناه اجمالا في وصفنا للهوامّ المعيَّنة

ممّا افادتنا الاسفار المقدَّسة انّ الله عزَّ وجلّ لمّا تجلّى لموسى الكليم في مصر وانتدبهُ لخلاص شعبه من نير المصريين وعدهُ بانَّهُ يحمل بني اسرائيل في بلاد نامية الخيرات. واذ اراد الربّ ان يبين لهُ خصبها وصفها بكونها « بلاداً تدرُّ اللبن والعسل » (خروج ١٣ : ٥ و٣٣ : ٣ وتثنية ٦ : ٣)

واثبت قولهُ تعالى اولئك الجواسيسُ الذين ارسلهم موسى ليجسُّوا ارض الميعاد فلمّا عادوا الى محلّة العبرانيين قاموا شهودًا على صدق وعود الله قائلين لموسى (عدد ١٣ : ٢٨) : « قد صرنا الى الارض التي بعثتنا اليها فاذا هي بالحقيقة تدرُّ لبنًا وعسلًا »

وقد تكرَّر هذا الوصف لبلاد فلسطين وسواحل الشام في سفري العدد وتثنية الاشتراع نيفًا وعشر مرَّات وكذلك ورد في بقيَّة الاسفار المنزلة

وان قال قائل انَّما هذه عبارة مجازية لا يُراد بها غير وصف جودة ارض الميعاد ووفرة مرافقها. اجبنا اننا نسلم بذلك ولكن يستفاد ايضاً من تكرارها انَّ العسل كان متوفّرًا في تلك الجهات الشرقيَّة

١) اطلب بحثًا مختصرًا في ذلك مرَّ في السنة الثانية للمشرق (ص٧٦١ – ٧٦٤)

وفي كتب العهد القديم التاريخيَّة ما يؤيد توفُّر العسل في الاراضي المقدَّسة فمن ذلك ما اخبر بهِ صاحب الكتاب الاوَّل لسفر الملوك (١٤: ٢٥) حيث روى ما حدث ليوناثان في أبان الحرب مع الفلسطينيين فدخل غاباً مع الشعب ووجد العسل يسيل من شجر الغاب فغمس فيهِ طرف عصاتهِ واكل منهُ دون ان يعلم بحلف ابيه الذي جعل اللعنة على من يذوق طعاماً قبل مساء ذلك اليوم

وفي سفر القضاة (١٤: ٨ — ٩) حادث آخر يدلُّ على وفرة العسل في تخوم بني اسرائيل وذلك خشرم النحل الذي وجدهُ شمشون في جوف اسد كان قتلهُ قبلها بأيام فاشتار عسل الخشرم واكل منهُ

وفي جملة الهدايا التي اوصى يعقوب بنيه (تكوين ٤٣: ١١) ان يأخذوها ليستعطفوا وجه يوسف قبل ان ينزلوا ثانيةً الى مصر ليمتاروا قمحاً قد كان العسل

فهذه الشواهد وغيرها ايضاً نضرب عنها تثبت قولنا السابق في كثرة العسل في اقطارنا وذلك منذ عهد الآباء من نسل ابراهيم. ولا بأس اذا كانت تلك النحل بريَّة وعسلها بريّاً اذ لا فرق بين النحل الاهلي والبرّي

ولست ادري ايوجد اليوم ايضاً في انحاء فلسطين خشارم من النحل تحلُّ وتتوالد في تجاويف الشجر او تخاريب الصخور. وما لا يسعنا انكارهُ انَّ في اعالي لبنان من الجرد لا يزال الرعاة يجدون خزائن العسل ممَّا عسَّلتهُ نحل الجبل البريَّة. وكذلك رأينا بالعيان في مشارف جبال عكّار هوامّ النحل كانت تنفذ في الصخور وتخرج مما استدللنا بهِ الى وجود النحل والعسل في تلك الجهات

وروى لنا الثقة انهم رأوا قبل ٢٥ سنة طوائف من النحل طارت فوق قرية صليا ثم حطَّت غير بعيد عنها. فاسرع الاهلون واتوا بالاوعية كصناديق الخشب والجرار فنقلها كلٌّ منهم الى ارضهِ ولم تقلَّ على عشرين كوارة وقد رجَّحوا انَّ تلك النحل كانت انفصلت عن طوائف اصليَّة مأواها في اعماق الاودية وبين صخور الجبل

فلا شكَّ انَّ تجريد لبنان عن غاباتهِ بتوالي الازمان أثَّر ايضاً في احوال النحل فقلَّت مستعمراتها مع نقصان غذائها ولكن يمكننا ان نتتبع آثارها حتى في اوائل تاريخ الميلاد فانَّ الانجيل الطاهر يروي عن يوحنَّا المعمدان (متى ٣: ٤) انَّ طعامهُ كان

« الجراد وعسل البرّ ». وروى القديس لوقا (٢٤ : ٤٢) انّ الرسل لمّا ظهر لهم الرب بعد قيامته قدّموا له « قطعة من سمك مشوي وشهد عسل » وبذلك دلّونا على ان العسل كان من طعام العامّة في ذلك العهد اذ نرى قوماً من الصيّادين يأكلونهُ كقوتهم اليومي سواء كان ممّا اذخروهُ لسنتهم او ممّا اشتاروهُ من بعض خلايا النحل البرّية وليس من الكوائر التي لا يشتار عسلها في الربيع وهو الفصل الذي جرى فيهِ ظهور الربّ لتلاميذهِ

وعلى كل حال يؤخذ من هذه الروايات انّ العموم كان يُقبل على أكل العسل وناهيك بذلك دليلًا على اهتمام اهل الشام وفلسطين بل كافّة الشرق بتربية النحل. وكان لاهل ذلك الزمان داعٍ آخر يحدو بهم الى العناية بالنحل وهو انّ العسل كان يقوم في كثيرٍ من اطعمتهم وادويتهم مقام السكّر الذي يغني اليوم عن العسل وكان اذ ذاك استحضار السكّر مجهولًا فلم يشع في اوربّة الّا بعد اكتشاف العالم الجديد لمّا عمّ استنبات قصب السكر فصاروا يعصرونهُ ثم يصفّون عصيرهُ ويعقدونهُ [1] فكثر السكر وأُهمل العسل نوعاً. وزاد هذا التغاضي في القرن الاخير لمّا صاروا يستخرجون السكّر من الشمندر فيعقدون عصيرهُ كعصير قصب السكر وبذلك راجت سوق السكّر رواجاً كاد يفني جنى النحل

وممّا كان يرغب الناس قديماً في تربية النحل الشمع المصفّى من اشهادها. وقلّما كان الناس ولاسيما وجوههم يستصبح بغيرهِ. امّا اليوم وقد اكتشفوا الشمع الشحمي (stéarine) والبارفين (paraffine) وصاروا يستصبحون بالغازات والكهرباء. فكسدت سوق الشمع العسلي لندرته وارتفاع اسعارهِ

*

ولكن يا تُرى هل استحقّ العسل ان يُعرَض عنهُ هذا الإعراض أليس فيهِ من الخواصّ ما من شأنهِ أن يحدو بالعموم الى استعمالهِ؟ دعْنا نبحث عن بعض فوائدهِ

---

[1] راجع في المشرق ١٠ (١٩٠٧) : ٦٥٦ و١٢ (١٩٠٩) ١٧٩) مقالتين حسنتين في السكّر وقصب السكّر للاب يوسف موغبين وللاديب ميشال الياس سماحه

واوَّل ما يلوح للكيموي من تحليلهِ انهُ جامع لخواصّ الاطعمة المغذية لأنهُ مقوٍّ مريءٍ موافق للصحة منظف للامعاء.

فكونهُ مقوّياً انَّما استمدَّ ذلك من سكَّريتهِ . وقد اثبت العلماء اليوم بالادلَّة المتعدّدة ان الاطعمة التي مبناها السكر هي اصلح من سواها لتقوية الجسم . ومما ثبت لهم بالاختبار انَّ الخيل والبغال والبقر وما سواها من حيوانات النقل والشغل اذا خُلط علوفها بمقادير معلومة من السكر كالادباس الغليظة وافضال تصفية السكَّر قويت بنيتها وامكنها ان تثبت على الشغل زمناً اطول فتؤدي خدماً اعظم لاصحابها . وكذلك زادوا في طعام الجند كميَّة من السكر ليقووا على اتمام مهنتهم الشاقة في ايام الحرب وغيرها

فترى من هذه الامتحانات ان علماء العصر عادوا فاكتشفوا ما كان يعرفهُ من قبلهم القدماء من تعزيز قوى الجسم باكل العسل . وكان المصارعون قبل نزولهم الى ميدان الصراع يتغذون بالعسل لعلمهم بأنهُ مصدر قوَّة عظيمة وانهُ يجدي الاعصاب ثباتاً على العمل وصبرًا على الاتعاب

وقد قرأتُ في بعض كتب السيَّاح الى شمالي اوربَّة انَّ اهل اسوج ونروج اذا مدَّ عليهم الشتاء رواقهُ وتراكت فوقهم الثلوج فلزموا بيوتهم ضعفت امزجة شبانهم واحداثهم حتى كادوا يضنَون بالسلّ فلم يرَ الاطباء طريقة اقرب لاصلاح قواهم من اغذائهم بالعسل وبجماء القرّاص الذي منهُ يُستخرج الحامض النملي (١

ولعلَّ ما رواهُ الكتاب الكريم (١ ملوك ١٤ : ٢٧ , ٢٩) عن يوناثان في الخبر السابق ذكرهُ من انَّهُ لَّما ذاق عسل الغاب « انجلت عيناهُ » هو من هذا القبيل فيكون العسل ردَّ لهُ قواه فازال ما اصاب عينيهِ من الغشاء لتعبهِ

وليس العسل قوتاً مغذياً مقوّياً فقط بل هو ايضاً هني مريء . وكيف لا يكون ناجعاً للصحة مع ما يحتويهِ من صفوة النبات ولباب الزهور وعطر الاعشاب مما تمتصُّهُ النحل وتفرزهُ بخبرة وتلوكهُ بدقَّة ثمَّ تمجُّهُ في نخاريب اشهادها ليبقى فيها كمؤونة للشتاء . فتجد في ذلك العسل كل خواصّ الزهور وعرفها الطيب وجوهر حياتها

١) راجع في المشرق (٧ : ٥٥٢) مقالة الدكتور كيك في هذا الحامض النافع لتقوية الاعصاب

النباتيَّة مع ما امتزج فيها من نور الشمس المحيي وحرارتها المنعشة. وذلك ما حمل ميشله (Michelet) الكاتب الافرنسي على ان ينعت العسل بروح الزهر يريد انَّ النحل تأخذ خلاصة الزهور وتحيلها جبلًا عجيبًا يحفظ لها خاصيَّاتها الاصليَّة. والدليل على ذلك انَّ للعسل من التكيُّف ما يختلف على اختلاف الامكنة والحدائق والحقول فانَّ النحل تصون بكل حرص ما في زهرها من الخواصّ الطيبة ليزيد عسلها ذكاء ولذَّة فيتميَّز كل جنس من العسل عن الآخر كالعسل الصعتريّ والعسل الوردي

امَّا كون العسل منظفًا فلسهولة هضمه. وانْ ابدى معترضٌ ريبًا في الامر وذكر انهُ اثقل نوعا من الماء بحجم متساوٍ اجبناهُ انَّ الثقل النوعي في بعض الاطعمة ليس برهانًا على ثقلها في المعدة. فالامر على خلاف ذلك لانَّ العسل مريٌ تُجيد تهضمهُ المعدة دون عناء. وهو مع هذا مبرّدٌ للمعدة والاحشاء منقٍّ للدم ولذلك قد اعتبرهُ القدماء كمنعش للصحة بل كمطوِّل للحياة. قيل انَّ بقراط رئيس حكماء اليونان كان يصف استعمالهُ لمن يرغبون في اطالة حياتهم

وممَّا يجدر بالنظر انَّ العسل كل خواصّ السكر دون مضارهِ. نعم ان السكر يصلح لتقوية الجسم اذا دخل منهُ كميَّة في الطعام لكن الافراط منهُ ضارّ. فاذا بالغ احد في اكلهِ قطع شهوة الطعام واضنك المعدة وهيَّج الاحشاء واثار في الاعضاء حرارةً بل حرقة. هذا فضلًا عمَّا يجلبهُ للاحداث من فساد الاسنان اذا اكثروا من الحلويات. امَّا العسل فخالٍ عن كل هذه الآفات لأنَّ تركيبهُ من ضروب السكر ويدخلهُ اقسام بالغة من سيالٍ خفيف يدعونهُ لاڤولوز (lévulose) ممَّا لا اثر لهُ في السكر المستخرج من القصب وبذلك يُضحي كدواء ناجع يُفضَّل استعمالهُ ممزوجًا في الاشربة بدلًا من السكر بل يداوى بهِ القبض والارق والامراض الناتجة عن اذى الاعصاب ومن منافعهِ الشهيرة تليينهُ للحنجرة اذا تغرغر بها المصاب بجسأة اللوزتين وتقرّحهما فانَّ حلاوتهُ اللينة تزيل تلك الجسأة وتبرئ تلك القروح

ولا يظنَّ القارئ انَّ هذه الموادّ السكرية المختلفة هي مخزونة في الاثمار فقط. كلَّا فانَّ منها كميَّات وافرة ايضًا في الزهور وفي اوراق النباتات وقشور الشجر حيث لا يستطيع ارباب الزراعة استخراجها

امَّا النحل فانَّها لا تحجم عن ذلك بل تمتصّ ذلك العسل المكنون ولئلَّا يصيبهُ

الاختمار فيتلف تراهنّ يعرضنهُ للهواء فيتبخر الماء الزائد فيه ثمّ يأكلنهُ فيهيّئن لنا ذلك القوت اللذيذ الذي وصفنا منافعهُ لتقوية الاعصاب وتبريد المعدة وتصفية الدم

والعسل كما هو معلوم يدخل في تركيب اصناف الاطعمة ولا سيما الحلويات والربوب والجوارشات والقطائف والمعاجين ولكلها طرائق ومقادير يتفنن فيها ارباب الطباخة وصنعة الحلويات

ولا يسعنا ان ننسى الاشربة التي تنال من العسل بعض خواصها المرغوبة (١ منها الخمر العسلي (hydromel) الذي كان يُقبل عليه الاقدمون ايّ اقبال ولا يأنف من شربهِ اهل زماننا وانّما يتخذون لتهيئته ضروب العسل الادنى جنساً كالعسل الذي تجتنيه النحل من زهور القمح الاسود (sarrazin) ثم (يخلطون العسل بالماء ويخمرونهُ بخميرة الجعة (البيرة) . وهذا الخمر يحوّلونهُ الى مُسكر كالعرق بتقطيرهِ في الانبيق كبقيّة الخمور المتخذة من الاثمار كالعنب والاجاص والقراصيا . ولهذا العرق ذوق لذيذ خاصّ بهِ كبقيّة اصناف العرق الاخرى . وكذلك تُستخرج منهُ الكحول التي تُشرب او صرفةً كالكونياك او ممزوجة لتهيئة مشروبات اخرى يصاحبونها بها ويزيدون عليها السكر

وعرف العرب كثيراً من خواصّ العسل قال ابن بيطار في مفرداتهِ (٣ : ١٢١) نقلاً عن قدماء الحكماء : «قوّة العسل جالية مفتّحة لافواه العروق بجذب الرطوبات ... وهو يجلو ظلمة البصر واذا تُحنّك بهِ او تُغرغر بهِ ابرأ اورام الحلق واورام العضل التي عن جنبتي اللسان والحنك واللوزتين والخناق ويدرّ البول ويوقف السعال اذا شُرب سخناً بدهن الورد . . ولماّ العسل النيّ المطبوخ فصالح للمعدة الباردة والامعاء الوارمة ووجع المعدة الكائن من البلغم وهو مُشهٍّ للطعام ويغذو غذاء جيداً »

وقد شاع عند العرب شراب العسل . قال نجم الدين الشيرازي في كتاب الحاوي في علم التداوي (éd. Guigues. ١١) : «شراب العسل المسخن للمعدة والكبد . وصفتهُ : يؤخذ من عسل النحل عشرة ارطال ومن السكر عشرة ارطال ومن السنبل والمصطكى والدارصيني والقاقلّة والعود الهندي والهيل وجوز بوا من كل واحد وزن درهمين وقرنفل درهم يُدقّ الادوية جريشاً ويلقى في طنجير ويُصبّ عليه ستة

١) راجع المشرق ٢ (١٨٩٩) : ٧٦٣ - ٧٦٤

ارطال من ماء عذب ويطبخ الى ان يرجع الى اربعة ارطال ويصفّى بخرقة صفيقة . ثمّ يُصبّ على ذلك الماء السكر والعسل ويُغلى ويؤخذ رغوتهُ اوّلًا فاوّلًا حتى يصير له قوام ويُنزل عن النار ويُصفى ويرفع الى اناء ويستعمل بسهولة ٠

ومن المشروبات العسليّة الشهيرة ما دعاهُ العرب بالسكنجبين (oxymel) اي مزيج العسل والخلّ او الخلّ العسلي كان يستطيبهُ اهل الشرق

وجمل القول انّ العسل من اصلح الاقوات وانجعها للصحة . ولنا في مثال الخالق نفسهِ اثبات على الامر فانّهُ تعالى لمّا اراد ان يقيت شعبهُ في البريّة مدّة اربعين سنة لم يجد لهم افضل من المنّ الذي كان طعمهُ « كقطائف بعسل » (خروج ١٦ : ٣١)

وقد سبق ان تركيب العسل يختلف على اختلاف النبات الذي يجني النحل زهورهُ . وانّما يُقال بالاجمال انهُ يتألف من الموادّ الآتية : يدخلهُ من ٢٠ الى ٢٣ قسماً في المئة من الماء . ثمّ من ٩ الى ٧ اقسام من السكر الطبيعي . ثم من ٦٥ الى ٧٠ قسماً من مادتي الغلوكوز (glucose) واللاڤولوز (lévulose) واخيراً من قسمين الى اربعة اقسام عناصر مختلفة . امّا الكيميويون الذين يحلّلون العسل الى آخر اركانهِ فانهم يميزون انواعاً كثيرة من الموادّ السكريّة التي اخصها السكر الطبيعي المستخرج من القصب والشمندر ويوجد منهُ كميّات وافرة في الجزر والذرة وغيرهما . وكذلك يميزون انواعاً من مادة الغلوكوز الحلوة فمنها الطبيعيّة التي يدعونها سكر العنب لوجودها بوفرة في العنب كما في غيرهِ ايضاً من الثمار كالخوخ والتين — ومثلها مادّة اللاڤولوز السكريّة المستخرجة من القراصيا والتوت الفرنجي . فمن هذا التركيب واصناف الموادّ السكريّة يلوح للناظر سبب الفرق الموجود بين العسل والسكر فيفضّل الاوّل على الثاني من وجوه عديدة

هذه نبذة وجيزة من شأنها ان ترشد الشرقيين الى ان يستنتجوا ما للعسل من الفوائد وما يستطيعون ان ينالوهُ من الارباح لو انقطع قوم منهم الى تربية النحل وترويج جناه . فانّ لبنان يصلح لذلك اكثر من بلاد اخرى لاختلاف مناطقهِ حيث تختلف اصناف الزهور وباختلافها يمكن استحضار اصناف من العسل بحيث يدرّ في الجبل جنى النحل كما كان يدرّ في عهد بني اسرائيل في انحاء ارض الميعاد

تاريخ آداب اللغة العربية

نقد الجزء الثاني منهُ للاب لويس شيخو اليسوعي

في مثل هذا الشهر من عامنا الماضي (الشرق ١٤: ٥٨٢) كتبنا فصلًا في انتقاد الجزء الاوَّل من هذا التاريخ فاثنينا على همَّة صاحبهِ وأفضنا في مزايا الكتاب وابدينا ما خطر على بالنا من الملحوظات رجاء ان يستفيد منها جناب المؤلف في اقسامهِ التالية او عند استئناف طبعهِ. وكنَّا تمنينا لو يحظينا المؤلف سريعاً بتتمتهِ فما خاب املنا وها هوذا قد اتحفنا بالجزء الثاني من تأليفهِ النفيس ويختمهُ قريباً ان شاء الله فيصبح كدستور في ايدي ادباء اهل الوطن

وقد قرأنا في مقدمة هذا الجزء الثاني كلاماً للمؤلف الاديب رواه في «موقع الجزء الاوَّل» وخصَّ حضارتنا بالذكر (ص ٧) مثنياً على اعتدال خطتنا في النقد شاكرًا لحسن ظننا واهتمامنا في البحث والتنقيب وابدائنا لملاحظاتنا وانتقادنا بتعقُّل واخلاص. والحقُّ يقال أننا في كتابتنا لذلك الفصل المطوَّل لم نقصد غير خدمة الآداب العربيَّة وتنشيط الذين يسعون في استخراج مكنوناتها ونشر دفائنها لا يزعهم في ادراك غايتهم وازع ولا يثبطهم مانع كجناب منشئ الهلال الذي نهض بين ادباء بلادنا نهضة قلَّما جاراهُ غيرهُ في مثلها. فاذا وفيناهُ حقَّهُ من الشكر قمنا بالواجب ودعونا امثالهُ الى مباراتهِ في سباق كثرت اكاليلهُ وقلَّت فرسانهُ

هذا ومع ثنائنا على صاحب تاريخ آداب اللغة العربيَّة كنَّا عرضنا عليهِ بعض الآراء تحسيناً لعملهِ اذ نعلم حقَّ العلم انَّ تاريخاً مثل هذا يكاد ينوء تحت عبئهِ عاتق الجهابذة. لكنَّ ذوي الهمَّة تزداد عزائمهم مع ازدياد الآمال المنوطة بهم والاثقال الموكولة الى اهتمامهم

وعليهِ قد رأينا ان نستأنف الانتقاد لهذا القسم الثاني من الكتاب فنبيّن محاسنهُ ونلحقهُ بالملحوظات التي دارت على خلدنا عند مطالعتهِ. فان شاء الله ينظر اليها المؤلف كما وعدنا بعين الاهتمام ولا يعدّها هذه المرة «في غير مكانها او قبل اوانها»

*

يتناول هذا القسم من تاريخ الآداب العربيّة معظم العصر العبّاسي منذ صارت أزمّة الخلافة في ايدي بني عبّاس بانتصار السفّاح الى ان انتقض حبل دولتهم وتضعضعت اركانها بنفوذ الدولة البويهيّة وتدبيرها للامور حتى زمن الدولة السلجوقيّة. وقد قسم الكاتب هذه المدّة الى ثلاثة اطوار يشمل كل طور نحو مئة سنة بنيف قليل يبلغ مجموعها ثلثمائة سنة وقد جرى في ذلك أدراج الاستاذ الالماني كرل بروكلمان في كتابهِ تاريخ الآداب العربيّة (C. Brockelmann: Geschichte d. arab. Litteratur) بل كثيرًا ما نقل فصولهُ عنهُ حتى كدنا ندعو كلامهُ غير مرّة تعريباً لا تأليفاً وكان العدل يقضي بان يشير اليهِ مرارًا في اسانيدهِ التي رواها في ذيل الكتاب وانّا ذكرهُ فقط في جدول التآليف التي سرد اسماءها في فاتحة الجزء الاول من كتابهِ. وهذا قليل بالنسبة الى المنقولات عنهُ

وقد افتتح جرجي افندي هذا الجزء الثاني بشبه المقدّمات على العصر العبّاسي ونهضتهِ الادبيّة. فالمقدّمة الاولى (ص ١٠) عنوانها القرآن وآداب اللغة العربيّة زعم فيها « انّ العلوم والآداب في ابّان التمدّن الاسلامي تكاثرت حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم.. واكثرها نشأ من القرآن او تولّد خدمة لهُ » وهو قول ذهب اليهِ المؤلف تزلّفًا الى بعض القرّاء المسلمين لكنهُ لا يروق في اعين الادباء من ايّ طائفةٍ كانوا حتى المنصفين من المسلمين وقد روينا شيئاً من كلامهم في مقالتنا عن العلوم العربيّة في اوّل الاسلام (المشرق ١٤: ٢٩٩ — ٣٠٦)

ولا يفيدهُ الفصل الذي افردهُ لذلك فانّ مزاعم كثيرة هناك تنقض الحقيقة التاريخيّة ولا تنطبق على ما ذكرهُ جرجي افندي في كتبهِ فكيف يقنعنا بان التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضيّة والفلسفيّة وغيرها نشأت من القرآن وقد ذكر هو نفسهُ كما ذكرنا مع كل اصحاب الآثار انّ هذه العلوم لم تظهر الّا في اواسط او اواخر القرن الثاني للهجرة. فيا ليتهُ اكتفى ببيان تأثير القرآن في اللغة العربية وفي آداب قومهِ الاجتماعية ولعلّهُ كان الاوفق لو قدّم الكلام في هذا الموضوع عند ذكرهِ القرآن في الجزء الاول من كتابهِ

ثم اردف هذه المقدّمة بمقدّمة ثانية جعلها كذكر اجمالي للعصر العبّاسي الاوّل

وهو بحث جليل كان يقتضي نظرًا دقيقاً في مميّزات ذلك العصر الذي دعاهُ بعصر الاسلام الذهبي. فشدَّ ما كان عجبنا اذ نظرنا هذا الباب ملخَّصاً في اربع صفحات لم يكد المؤلف يمسُّ فيها موضوعهُ. فانهُ بعد ذكرهِ الانقلاب السياسيّ الذي حصل بانتصار بني عبّاس على بني اميَّة انتقل الى وصف الخلفاء الاوَّلين فوصفهم بما لا يروي غليلًا. فهنا كان ينبغي على الكاتب ان يبيّن كَلَف الخلفاء بالعلوم القديمة والحديثة وما صنعوهُ لذلك امّا بمساعيهم الخاصّة واما بتنشيط العلماء وتقريب الوسائط لذوي الهمم فيعدّد مآثرهم في انشاء المكاتب وفتح المدارس في عاصمة دار السلام وغيرها وتجهيز المعاهد العلميَّة المختلفة ودعوتهم للادباء في قصورهم للمذاكرات والمحاضرات واقتراحهم على ذوي المقدرة وضع التآليف في العلوم. فكل ذلك ممَّا لا غنى عن ذكرهِ في باب مثل هذا فاهملهُ واجتزأ بكلام عام يعرف الأدباء اكثر منهُ بكثير

وقد جعل المؤلف بين مميّزات ذلك العصر الذهبي (ص ١٩) حرّية الدين فاتى لاثبات قولهِ بدليلين خفيفين لا يقنعان احدًا اعني تشيُّع المأمون وقوله بخلق القرآن ثم مثل اولاد ابي جعد. ولا يخفى ما يستوجب من البراهين والبيّنات بحثٌ مثل هذا أَفا كان الاولى بالكاتب ان يضرب الصفح عن الامر فلا ينبّه الافكار الى ما لا يسعهُ اثباتهُ؟

وختم هذا الباب (ص ٢٠) بذكر وزراء الفرس والموالي اي المسلمين غير العرب كآل برمك وآل الفضل وتأثيرهم في النهضة الادبيَّة. حسن ولكن ما باله ألحق بهم الجواري والغلمان فقال: «ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري... وتكاثر الغلمان... وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء.(١» افهذا يا اصلحك الله ما رأيت من «ثمار الحضارة» ومن مميّزات «عصر الاسلام الذهبي»!!

ويلي هذا الباب في مميّزات العصر العبَّاسي باب آخر (٢١ — ٣٧) في ما دعاهُ «العلوم الدخيلة» اي العلوم القديمة التي شاعت عند اليونان والفرس والقبط والهنود

١) قد اشار المؤلف في ذيل الصفحة الى نكتة ذكرها صاحب الاغاني (٦: ٢٠٨) لحسين بن الضحّاك فاتّزلها منزلة الامور العمومية في ذلك العصر. فهذا ليس بتاريخ بل مسخ التاريخ

قبل العرب لجاء العرب ووكلوا نقلها الى الذمّيين لاسيا نصارى السريان (١ والفرس فعرّبوا منها شيئاً كثيراً لاسيا كتب الفلسفة والطبّ والنجوم. فالكثير من هذا الباب مع فائدته قليل العلاقة بآداب اللغة العربيّة فيا ليتهُ ابدلهُ من مواضيع أُخرى اعظم شأناً وامسّ حاجة كتاريخ مدارس البصرة والكوفة وما كان ما يمتاز بهِ اصحابها في الآراء اللغوية المتباينة فانّ ما كتبهُ في ذلك عن السيوطي (ص١٨٤) لا يشفي عليلًا. ولو اراد دليلًا يرشدهُ الى هذا البحث الخطير لوجدهُ في احد المستشرقين الالمانيين وهو غستاف فلوغل ودونك اسم كتابهِ (G. Flügel: *Die gramm. Schulen der Araber*) طبعهُ في ليبسيغ سنة ١٨٦٢ وهو مشحون بالمعلومات عن ارباب الكوفة والبصرة ومناظراتهم اللغويّة. فسكوت جرجي افندي في «تاريخ آداب اللغة العربيّة» عن مسألة كهذهِ تُعدُّ خللًا عظيماً

وما نقولهُ عن مدارس الكوفة يصحُّ ايضاً في مدارس بقيّة مدن الدولة العبّاسيّة كالمدرسة النظاميّة في بغداد ومدارس اخرى اسلاميّة او نصرانيّة في دمشق وانطاكية وحلب ومصر كنّا نحبّ ان نطلع على شيء من تعليمها وطرائقها في التدريس وكتبها المعوَّل عليها. فان شاء الله يسدُّ هذا الخلل في الجزء الثالث من كتابهِ فيراجع كتاب الدارس في المدارس للنعيمي (اطلب المقتبس ٦: ٢٢٤) الذي نُشر مختصراً باللغة الفرنسويّة بهمّة المسيو سوڤار (H. Sauvaire) في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة. وفصولًا حسنة عن مدارس مصر وحلب في تاريخ المقريزي وتاريخ ابن ابي شحنة وغير ذلك ممّا يوقفنا على احوال مدارس العرب التي كانوا يستقون من مواردها حياة علومهم

فبعد هذه المقدّمات التي تستغرق ٤٠ صفحة دخل المؤلف اخيراً في موضوعهِ اي العلوم العربيّة الاصليّة فبحث تباعاً في الشعر والشعراء ثمَّ في الأدب والأدباء ثمَّ في النحو وعلماء اللغة ثمَّ في الانشاء والمنشئين ثمَّ في العلوم الاسلاميّة من فقه

٢) وعليهِ فانَّ في قول جرجي افندي (ص ٣٤) «انَّ المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان من العلم والفلسفة والطبّ والنجوم والرياضيات عند سائر الامم المتمدّنة في ذلك العهد» نظرًا لانَّ اولئك النقلة كانوا من النصارى غالبًا او من اليهود والصابئين. امّا المسلمون فنقلهم منها قليل

وحديث وتفسير وختم الطور العبّاسي الاوّل بالتاريخ والمؤرخين وذلك في ١١٥ صفحة

وقد قدَّم على باب الشعر نظرًا في اللغة (ص ٣٧ — ٤٠) كان الافضل ان يجمعهُ مع فصل آخر شبيه بهِ وهو علم اللغة (ص ١١٩ —١١١) فانَّ الفصلين في موضوع واحد يلزم احدهما الآخر فيتداخلان

ثمَّ جعل لباب الشعر المذكور تمهيدًا في خواصّ الشعر العباسي ففضل شعر هذا الطور على الشعر الجاهلي . فقال (ص ٤١) : « انتقل الشعر في الدولة العبّاسيَّة انتقالًا كبيرًا مثل انتقال الأمَّة العربيَّة من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة » وقال (ص ٤٣) : « انَّ كلام الاسلاميين يُعدّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين منثورهم ومنظومهم »

فهذا الحكم كما ترى يناقض حكم ائمة اللغة القدماء الذين اطنبوا في مزايا الشعر الجاهلي وفضَّلوهُ على شعر المولَّدين من وجوه متعدّدة فروينا سابقًا اقوالهم . ولئن امتاز شعر هؤلاء بشيءٍ من الطلاوة والزخرف فكم يفوق عليهِ شعر اولئك بمتانتهِ وطبعيَّتهِ وبلاغة معانيهِ وحرّ الفاظهِ وان كان لا يخلو ايضًا من مسحة البهاء والرونق كشعر زُهير والنابغة وغيرهما كما ترى في مجموع حماسة البحتري الذي نشرناهُ حديثًا . وكذا يُقال عن النثر الذي نقل لنا منهُ امثلةً صالحة صاحب كتاب الاغاني . نعم انَّنا لا ننكر انَّ ادباء العصر العبّاسي لتولُّجهم في الحضارة اتَّسعوا في الابحاث اللغويَّة وتفنَّنوا في اساليب الانشاء . وانَّما المقابلة بين الطور الجاهلي والطور الاسلامي من حيث البلاغة ورصانة الكتابة فترى الشعر الجاهلي ونثرهُ تكسوهما حلَّة البيان لا يشينهما حشو ولا تطويل يبدوان خاليين من عيب التكلُّف سالمين من التشابيه البعيدة والاستعارات المتعقّرة . فهيهات ان يبلغ المولَّدون شأو الجاهليين وليست الامثال التي ضربها جرجي افندي (ص ٤٣ — ٤٨) لتعدل بنا عن هذا الرأي لا بل من شأنها ان تزيدنا رسوخًا فيهِ . وبعض ما عدَّهُ هناك من المحاسن اولى ان يُعدّ انحطاطًا وتقهقرًا كوصف الغلمان والشعر المجوني . وزاد الشعر العبّاسي شيئًا ما ذكرهُ كاتبنا بعد ذلك (ص ٤٩) من الاستجداء بالشعر ثمَّ (ص ٥٠) التهتك والخلاعة . وقد اشار هناك الى وقائع لا تصلح الَّا لتتن المواخير

ويتلو ذلك سياق مشاهير الشعراء والادباء في نحو مئة صفحة روى المؤلف

تراجمهم نقلاً عن كتاب الاغاني وتراجم ابن خلكان المعروف بوفيات الاعيان وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ويتيمة الثعالبي وكتاب الفهرست لابن النديم وهو يدلّ على ما بقي من آثارهم مطبوعاً او مخطوطاً معرباً عن بروكلمان كما قلنا

ثمَّ انتقل الكاتب بعد ذلك (ص ١٥٣ — ٢٢٠) الى العصر العباسي الثاني من السنة ٢٣٢ الى ٣٣٤ (٨٤٧ — ٩٤٦) وقدَّم عليهِ بعض مقدّمات كما فعل في ذكر العصر الاول لتعريف مميزات ذلك القرن من حيث التاريخ والشعر والادب. وهي ناقصة كما هناك لا تدلُّ على تمعُّن كافٍ في الموضوع وقد تلاها بتراجم الشعراء والادباء والنحويين والمؤرخين وذوي العلوم الاسلاميَّة والعلوم الداخليَّة اي الفلسفة والطبّ والرياضيَّات. وذلك على طريقتهِ في القسم الاول وزاد على فصولهِ فصل الجغرافية والجغرافيين (٢٠١ — ٢٠٥)

وهكذا فعل في وصف العصر العباسي الثالث (من ص ٢٣١ الى آخر الكتاب) حيث قدَّم عليه المقدّمات في مميزات العصر المذكور واسباب النهضة التي جرت فيهِ بتعدُّد الدول الاسلاميَّة التي اقتسمت الدولة العباسيَّة ومزايا شعرهِ وآدابهِ. ثم تتبع تراجم اهلهِ كما فعل في العصرين الاولين من مشاهير الشعراء والادباء واللغويين والجغرافيين والمؤرخين مع العلوم الاسلاميَّة والدخيلة وزاد على هذا القسم باب الروايات والقصص كالف ليلة وليلة وقصة عنتر

*

فيلوح من هذه الخلاصة انَّ مؤلف تاريخ آداب اللغة العربيَّة قصد ان يضمَّ في كتابهِ مجمل اخبار كتبة العرب. ولعلَّ اتساع نطاق هذه الابحاث اخرج عن دائرة فكرهِ اشياء نراها اهمّ واخطر من بعض ما ذكرهُ فكنَّا احببنا مثلاً ان يروي لنا ما كان للنصارى من السهم المعلَّى في نشر الآداب العربيَّة بتآليفهم العديدة في كل الفنون وتعليمهم في مدارسهم فان هذا كان افادنا اكثر من بحثهِ في آداب اللغة اليونانيَّة (٢٢ — ٢٨) الخارج عن موضوعهِ ومن استطرادهِ الى الادب والانشاء عند الفرنج (ص ٢٧٧) ووصفهِ لبعض خرافات الفرنج (ص ٢٩٧)

وممَّا كنَّا وددنا الوقوف عليهِ الاصول التي نقل عنها بعض تصاويرهِ الشرقيَّة

كصورة ابن سينا (ص ٣٣٧) مثلًا التي هي اشبه بصورة راهب منها بصورة شيخ عربي ومثلها صورة يوحنّا بن ماسويه (ص ٣٣)

ومن ملحوظاتنا في رواياته لاخبار الكتبة انهُ يتّسع في تراجم من لا تفيدنا كثيرًا معرفتهُ لفقدان مآثره ويختصر في اسطر قليلة سِيَر بعض مشاهير الادب كما يجد المادّة حاضرة في الكتب التي ينقل عنها

امَّا الفصول الخاصَّة التي ذكرها جرجي افندي عن كل واحدٍ من أدباء العرب وتآليفهِ فانّا نروي لهُ بعض ما فاتهُ منها اجابةً الى ملتمسهِ (ص ٥) وخدمةً للآداب. ولو تتبعنا كتابهُ صفحةً صفحةً لامكننا الاتّساع في هذا الباب. وقد اثبتنا فقط ما لاح لنا من اوّل وهلة

(ص ٦١) كلامهُ عن السيد الحميري لا يفي بالمقصود. وللمستشرق الفرنسوي بربيه دي مينار (Barbier de Meynard: *Le Seïd Himyarite*) كرَّاسة في مئة صفحة جمع فيها اخبارهُ وشعرهُ عن اوثق المصادر طُبعت في باريس سنة ١٨٧٥ فلو راجعها لاستفاد منها كثيرًا لمعرفة شعراء ذلك العصر وانتقاد اعمالهم

(ص ٧١) في ذكرهِ لحماسة ابي تمّام وشرحها للتبريزي كان الواجب تقديم طبعة فريتاغ التي سبقت الطبعة المصريّة وتفوق عليها من وجوه متعدّدة والعلماء الاوربيون لا يعوّلون على غيرها فضلًا عمّا فيها من الفهارس المختلفة. وممّا نُشر آخرًا في موسكو بالروسيَّة كتاب حماسة ابي تمّام للاستاذ المستشرق كريمسكي (A. Krimski) جمع فيهِ ما ينوط بهذا المجموع من المعلومات

(ص ٨٠ — ٨١) لا نعلم سبب تقديمهِ للشاعرين عليّ بن الجهم المتوفى سنة ٢٤٩ وحسين ابن الضحّاك المتوفى سنة ٢٥٠ وقد نبّه سابقًا ان هذا العصر الاوَّل ينتهي في السنة ٢٣٢ فكان الاولى اذن تاخيرهما الى العصر الثاني. وكذلك يقال في ديك الجنّ المتوفى سنة ٢٣٥ (ص ٧٥)

(ص ١٠١) كتاب طبقات الشعراء الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ليس هو لابي عبيدة كما ظنّ وانّما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة الشهير مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى

(ص ١٠٢) قد خُدع الكاتب في ما رواهُ عن كتاب الغريب للاصمعي

فانَّ هذا الكتاب ليس هو في مكتبة ثينة وانَّما يوجد فيها غريب الحديث لابن الاثير. وللاصمعي غير ما ذكرهُ هناك ككتاب الاضداد تحت الطبع في مطبعتنا. وله كتابان في الابل طبعناهما ليس كتاب واحد كما روى

(ص ١٠٣) امكنهُ ان يزيد على ما بقي من تآليف ابي زيد الانصاري كتاب الهمز الذي سمينا بطبعهِ في المشرق في العام الماضي ثم طبعناه على حدة مع فهارس. وكذلك كتاب اللبأ واللبن قد طبعناه عن نسخة المكتبة الخديويَّة (راجع كتابنا البلغة في شذور اللغة ص ١٤١ – ١٤٥). امَّا كتاب المطر لابي زيد فكان سبقنا الى طبعهِ دون علمنا المستشرق الاميركي غوتيل (G. H. Gottheil)

(ص ١٠٤) غريب المصنف لابي عُبيد قد نشر منهُ كتاب النعم حضرة الاب بويج اليسوعي في الجزء الثالث من مجموعة مكتبنا الشرقيّ (Mélanges de la Fac. Orientale, t. III, p. 1-144) فطبعهُ طبعاً غاية في الاحكام ١٤٤ صفحة. ثمَّ انَّ امثال ابي عبيد التي طبعها برتو (Bertheau) في غوتنجن لا تحتوي غير قسم منها. وانَّما طُبعت في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ في اوَّل كتاب التحفة البهيَّة

(ص ١٠٦) المفضليَّات لم يطبع منها العلَّامة توربك (H. Thorbecke) في ليبسيك سوى الثلث منها مع شروح قليلة. وكذلك طُبع منها قسم في دار الخلافة العليَّة سنة ١٣٠٨ مع شروح قليلة. ثمَّ طُبعت في مصر. واليوم ساعٍ في نشرها في مطبعتنا على احسن طريقة مع شروح ابن الانباري العلَّامة السر شرل لايال (Sir Ch. Lyall)

(ص ١١٥) انَّ طبعة المستشرق ديرنبورج لكتاب سيبويهِ ليس فيها من التعاليق المفيدة غير روايات النسخ المختلفة. امَّا الترجمة الالمانيَّة للدكتور ياهن فانَّها غنيَّة بالتعاليق والشروح المنقولة عن ابي سعيد السيرافي وغيرهِ. وكذلك الطبعة المصريَّة روت تعريبات السيرافي على هامش الكتاب وزُيّنت ذيلهُ بشرح شواهد سيبويه للشارح الشهير يوسف الشنتمري. والطبعات الثلث ينقصها الفهارس الواسعة

(ص ١١٨) لم نشر بعد كتاب اصلاح المنطق لابن السكّيت كما روى وانَّما طُبع الكتاب في مصر دون اتقان كعادتهم في الطبع. ونسختنا المخطوطة تحتوي

شروح التبريزي ككتاب الالفاظ الـذي سبقنا الى نشره . ولابن السكيت كتاب القلب والابدال طبعهُ جناب الاستاذ اوغست هفنر في كنزه اللغوي (في مطبعتنا سنة ١٩٠٣ ص ١ — ٦٥) فتنبّهْ . وكذلك فاتهُ ذكر كتاب الاضـداد لابن السكيت وهو تحت الطبع في مطبعتنا

(ص ١٢٦) في باب الانشاء والمنشئين كان يحسن بهِ ذكر ما نُشر لعبد الحميد ابن يحيى الكاتب وسكت عنهُ في ترجمتهِ وهي اربع رسائل بديعة نشرها الاديب محمَّد افندي كرد علي في المقتبس ثم طبعها على حدة . فتعجبنا كيف نسيها جرجي افندي وهي اولى بالذكر من كثير مما وصفهُ

(ص ١٣١) كذلك سها عن ذكر رسائل ابن المقفع التي طبع منها قسماً الاديبان الشيخ طاهر افندي الجزائري ومحمَّد افندي كرد علي ونشراها على حدة مع رسائل عبد الحميد بن يحيى المذكورة . وكان يحسن بهِ ايضاً ان يذكر طبعتنا لكليلة ودمنة وهي منقولة عن اقدم نسخة مؤرخة تمتاز عن كل الطبعات السابقة بمحاسنها ومقدَّماتها العلميَّة

(ص ١٤٦) من الآثر المنسوبة للواقدي التي فاتهُ نشرها كتاب فتح الجزيرة طبعهُ نيبوهر (Niebuhr) في همبورج سنة ١٨٤٧ وفتوح البهنساء المطبوع في مصر . امَّا كتاب المغازي فكان طبعهُ في كلكتة سنة ١٨٥٦

(ص ١٦١) حماسة البحتري التي نشرناها في مطبعتنا مع تذييلات مطوَّلة وفهارس هي منقولة عن نسخة ليدن الفريدة التي أُخذ بعد ذلك رسمها بالفوتغراف وطُبعت على هذه الصورة لافادة العلماء

(ص ١٦٨) طُبع ايضاً للجاحظ مجموعة رسائل وهي احدى عشرة رسالة نشرتها مطبعة التقدُّم في مصر سنة ١٣٢٤ من جملتها رسالة طبقات المغنّين . وبين هذه الرسائل ما كان طبعهُ سابقاً فقيد الادب المستشرق الهولندي ڤان ڤلوتن في ليدن سنة ١٩٠٣ وهي الثلث الآتية : رسالة مناقب الترك ورسالة فخر السودان على البيضان ورسالة التربيع والتدوير

(ص ١٧١) ادب الكاتب لابن قتيبة طُبع منهُ نُتف فقط في ليبسيك ثم طُبع طبعاً متقناً مع الفهارس الجلية في ليدن سنة ١٩٠٠ بسعي الدكتور مكس

غرونرت (Max Grünert) — اما كتاب الشراب والاشربة فطبعهٔ اولًا احد المستشرقين (ي · د) في مجلّة المقتبس (السنة الثانية) . وكذلك كتاب الامامة والسياسة كان سبق الى نشر قسم منهُ في برلين الالمانيان اسمها يتسون وتندرسون سنة ١٨٥٩ — وممّا نشرناه نحن في المشرق كتاب لابن قتيبة لم يذكرهُ جرجي افندي اعني كتاب اللبأ واللبن . وقد نُشر على حدةٍ في كتابنا « البلغة في شذور اللغة » مع كتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة ايضا واللبإ واللبن لابي زيد

(ص ١٨٢) كتاب ابن ولّاد المعروف بالمقصور والممدود سبق الى نشره قبل المصريين الدكتور بول برونل (P. Bronnle) فطبعهُ في ليدن سنة ١٩٠٠

(ص ١٨٥) لابي حاتم السجستاني كتاب في الاضداد يطبعهُ الآن في مطبعتنا الدكتور اوغست هفنر مع كتابي اضداد الاصمعي واضداد ابن السكيت السابق ذكرها . وابو حاتم هو ايضاً الراوي لكتاب الشجر والنبات للاصمعي

(ص ١٨٨) قد فات المؤلف في ذكرهِ لمقصورة ابن دريد طبعة الجوائب في الاستانة سنة ١٣٠٠ مع شرح مطوَّل عليها وطُبعت ايضاً في طهران مشروحة سنة ١٨٥٩

(ص ١٨٦) كتاب الالفاظ الكتابيَّة الذي عُنينا بطبعهِ سنة ١٨٨٥ طبعهُ بعد ذلك السيد نعمان الالوسي في القسطنطينيَّة سنة ١٣٠٢ غفلًا من الشكل وقد دعاه بالغلط « كتاب الفاظ الاشباه والنظائر » ونسبه سهوًا لعبد الرحمان الانباري · والصواب انهُ لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني بدليل الطبعة القسطنطينيَّة نفسها في عنوان مقدَّمتها (ص ٤)

(ص ١٩٦) كتاب البدء والتاريخ ليس هو لابن زيد البلخي فانَّ الاستاذ هوار (Mr Huart) بعد طبعهِ للجزئين الاوَّلين منهُ تحقَّق انَّ الكتاب نُسب زورًا لابي زيد وانَّهُ تأليف المطهَّر بن طاهر المقدسي الذي عاش بعد ابي زيد البلخي بنحو خمسين سنة . وقد نبَّه المسيو هوار على ذلك في مقدَّمة الجزء الثالث

(٢٠٠ ص) انَّ تاريخ سعيد بن بطريق الذي ذكرهُ هناك قد جدَّدنا طبعهُ قبل ستّ سنوات عن نسخة خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة . وأضفنا اليهِ بمساعدة الاديب حبيب افندي الزيَّات والمستشرق كارا دي فو تاريخ يحيي بن سعيد الانطاكي الذي ذيَّل بهِ تاريخ ابن بطريق

وهنا كان يجدر بهِ ان يذكر تاريخاً آخر نصرانيًا مهمًا لاحد معاصري ابن بطريق انجزنا طبعهُ في مطبعتنا وهو كتاب العنوان لاغابيوس (محبوب) بن قسطنطين الروميّ المنبجي وكان طبع منهُ قبلنا قسمًا احد المستشرقين الروسيين في باريس

(ص ٢٠٤) ابن الحائك صاحب وصف جزيرة العرب وكتاب الاكليل لهُ ترجمة مطوَّلة في كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي الذي نشرناه آخرًا (ص ٥٨-٥٠)

(ص ٢٢٢) إسنادهُ نهضة العصر العبَّاسي الثالث الى «ناموس النشوء والارتقاء» ليس بثابت كضعف ذلك الناموس الكاذب. وقد ناقض الكاتب نفسهُ بما نقلهُ سابقًا في تقهقر الكتابة وانحطاط الآداب عن ابن قتيبة (ص ١٧٨). فلو صحَّ ناموس النشوء لما حصل ذلك التأخر كما حصل ثانيةً بعد العصر الثالث مدَّة اجيال عديدة الى عصرنا والناموس الصحيح هو قول النبي: ليس شيء ثابت على الارض

(ص ٢٤٨) امكنهُ ان يزيد في ذكرهِ لديوان المتنبي انَّ شرح العكبري أُعيد طبعهُ سنة ١٣٠٨ في مصر وعلى هامشهِ كتاب الصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي للشيخ يوسف البديعي -- وكذلك نقل ديوان المتنبي برمتهِ الى الالمانيَّة وقد نظمهُ شعرًا الوجيه البارون يوسف ڤون هامّر وطبعهُ في ڤينة سنة ١٨٢٤. كما طبعت مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ رسالة الحاتمي في موافقة شعر المتنبي لكلام ارسطاطاليس

(ص ٢٥١) كتاب ادب النديم لكشاجم كان طبعهُ في مصر سنة ١٢٩٨

(ص ٢٥٨) ديوان السيد الشريف الملقب بالرضي الموسوي بعد طبعتهِ الهنديَّة طُبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة في جزئين وقد نقحهُ وعلَّق عليهِ شروحًا الشيخ احمد عبَّاس الازهري

(ص ٢٥٩) وكذلك سها الكاتب عن ذكر ما طُبع في بيروت من ديوان مهيار الديلمي اي الجزء الاوَّل منهُ سنة ١٣١٤ في المطبعة الانسيَّة

(ص ٢٦٣) لابي العلاء المعرّي رسالة التذكرة التي نشرها المسيو كولن (G. Colin) فوصفناها في المشرق (ص ٢٣٦). واذ روى هناك ما قُرف بهِ ابو العلاء المعرّي من قلَّة الدين كان يمكنهُ ان يشير الى مقالتنا في المشرق (٤: ١٠٦٨) التي عنوانها «تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء»

(ص ٢٧٦) تعجبنا من قول الكاتب انَّ مقامات بديع الزمان « مشروحة في بيروت شرحاً مختصرًا للشيخ محمد عبده » وكل من لهُ معرفة بالكتاب يقرّ بان الشرح مستوفٍ يدلُّ على براعة الشارح. وزاد اندهاشنا لقولهِ « وهو غير عبد الرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابيَّة » فخاف ان لا يميز القرّاء بين فقيد الآداب الشيخ محمَّد عبده وعبد الرحمان الهمذاني وبينهما مدَّة نحو الف سنة. وان قال انهُ اراد بديع الزمان الهمذاني قلنا انَّ الفرق بينهما اظهر من الشمس ولا يتفقان في شيء الَّا كونهما من همذان فما الحاجة الى هــذا الملحوظ الشتبه. ومما كان يحقّ لهُ ذكرهُ انَّ رسائل بديع الزمــان طُبعت في مطبعتنا مشروحة شرحاً مطوَّلًا بقلم الشيخ ابراهيم الاحدب. وكذلك فاتهُ ذكر المقامات المطبوعة في الهند سنة ١٢٦٦ مع شرح خفيف على الهامش

(ص ٢٨٢) من غريب ما روى صديقنا عن طبعة الاغاني لابي الفرج الاصفهاني قولهُ « وقد طُبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءًا سنة ١٢٨٥ ثمَّ عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوهُ في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءًا ». فزاد في خارطة اوربَة مدينة جديدة لم تُعرف والصحيح انَّ العلَّامة الشهير والاثري الكبير « رودلف برونو » (R. E. Brünnow) هو المهتمّ بنشر الكتاب نقــلًا عن عدَّة نسخ مخطوطة من الاغاني -- وقد نسي جرجي افندي كتاباً آخر عظيم الشأن لابي الفرج طُبع في طهران سنة ١٣٠٧ وهو كتاب مقاتل الطالبيّين واخبارهم وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة وجدناها في الهند وهو عزيز الوجود

(ص ٢٨٤ — ٢٨٧) في مرويّاتهِ عن ابي منصور الثعالبي فاتهُ ذكر طبع الشيخ رشيد الدحداح لفقه اللغة اوَّلًا في باريس سنة ١٨٦١. وفي آخر طبعة مصر كتاب سر العربيَّة للثعالبي اغفل ايضاً ذكرهُ — وكتاب الاعجاز والايجاز طُبع في مصر ليس في بيروت سنة ١٨٩٧ مع شروح شتى لاسكندر افندي آصاف — كتاب خاصّ الخاصّ سبق طبعهُ في تونس سنة ١٢٩٣ وكان اوَّل طبع كتاب نثر النظم وحلّ العقد في دمشق سنة ١٣٠٠ — وكتاب مكارم الاخلاق طبعناه في المشرق (ج ٣ ص ٢٨) كذلك اقتصر في ذكر « غرر ملوك الفرس » وهو من اجلّ الكتب وانفسها ولم يُشر الى ترجمتهِ الفرنسويَّة للعلَّامة زوتنبرج سنة ١٩٠٠ — كتاب الثعالبي ثار

القلوب في المضاف والمنسوب صفحاتهُ ٥٥٩ ليس ٦٠٠ وقد بخس حقّهُ متولّي طبعهِ بنشرهِ دون فهارس ولا ضبط – كتاب الكناية والتعريض طبع في مصر سنة ١٣٢٦ في مطبعة السعادة – كتاب من غاب عنهُ المطرب طبعهُ على حدة في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٩ الاديب محمَّد اللبابيدي – كتاب النهاية في الكناية هو غير كتابهِ النهاية في التعريض والكناية المطبوع في مكة سنة ١٣٠١ – وقد طُبع ايضاً تحت نظر محمَّد افندي صادق عنبر في مصر في مطبعة الجمهور سنة ١٣٢٤ كتاب الثعالبي احسن ما سُمع – ونسي من مطبوعات الثعالبي كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات طُبع سنة ١٨٢٩ في فينّة مع ترجمة الانية . ثمَّ كتاب الامثال المسمَّى بالفرائد والقلائد الذي طُبع في مصر بمطبعة دار الكتب العربية سنة ١٣٢٧. وطُبع قبلهُ في مطبعة الترقي كتاب مرآت (كذا) المروآت سنة ١٨٩٨

(ص ٢٨٦) كتاب العمدة لابن رشيق طُبع نصفها الاول في تونس قبل الطبعة المصريَّة بزمان – امَّا كتاب زهر الآداب للحصري فقد طُبع على هامش العقد الفريد لابن عبد ربهِ في مصر مرَّتين

(ص ٢٩١) في باب الروايات لم يذكر بعض الروايات العربيَّة القديمة كقصة حيقار الحكيم (فليراجع ملحق حضرة الاب صالحاني على طبعتهِ الف ليلة وليلة) . وللاستاذ مرتين هرتمان بحث حسن في كثير من هذه الروايات العربية

(ص ٣٠١) كتاب الشجر لابن خالويهِ طبعهُ في برلين الدكتور صمويل ناغلبرغ (S. Nagelberg) سنة ١٩٠٩ – امَّا كتاب «ليس» فطُبع في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ بتصحيح وضبط الشيخ احمد الشنقيطي

(ص ٣٠٣) كتاب ابن جني الذي طبعهُ في ليبسيك وترجمهُ الى اللاتينيَّة الدكتور هوبرج لسمهُ «مختصر التصريف الملوكي» ليس «التعريف»

(ص ٣٠٩) كتاب الاتباع والمزاوجة لابن فارس نشرهُ نشراً جيلاً العلَّامة رودلف برونُّو (غير المدينة !) وطبعهُ في غيسّن سنة ١٩٠٦ وعلَّق عليهِ الملحوظات المديدة وختمهُ بالفهارس المفيدة

(ص ٣١٥) كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي الذي طُبع في ليدن نقلهُ الى الفرنسويَّة العلَّامة كارا دي ڤو (Carra de Vaux) وذيَّلهُ بالحواشي وختمهُ

بالفهارس المتقنة — امَّا تاريخ حمزة الاصفهاني فطُبع ايضاً في كلكتة سنة ١٨٦٦

(ص ٣١٨) يُضاف الى تآليف ابن مسكويه رسالة في دفع الخوف من الموت المنسوبة الى ابن سينا والاصحّ انها لابن مسكويه وقد نشرناها في المشرق سنة ١٩٠٨

(ص ٣١٩) انَّ كتابَي ابي عمر الكندي تاريخ مصر وولاتها وتاريخ القضاة الذين تولَّوا قضاء مصر قد تمَّ طبعهما في مطبعتنا قبل شهرين بهمَّة المستشرق رفن كَست (R. Guest) مع حواشٍ واسعة وفهارس على حساب لجنة تذكار جيب (Gibb)

(ص ٣٢٠) تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطيَّة القرطبي نُشر اوَّلًا في مجريط (مدريد) سنة ١٨٦٨

(ص ٣٢٣) تاريخ الوزراء لهلال الصابي المطبوع في مطبعتنا بهمَّة العلَّامة امدروز يحتوي ايضاً الجزء الثامن من تاريخ آخر موسَّع لهلال في ١١٨ صفحة . امَّا ترجمتا القضاعي وابي بكر الخطابي (ص ٣٢٤) فكان حقُّهما ان يُؤخَّرا الى الجزء الثالث وكلاهما توفي بعد السنة ٤٤٧ التي جعلها حدًّا للطور العبَّاسي الثالث

(ص ٣٣٧) كتاب الشفاء لابن سينا طُبع طبعة سيئة على الحجر في طهران في مجلَّدين سنة ١٣٠٣ — كتاب الاشارات طُبع جزؤه الاوَّل في ليدن سنة ١٨٩٢ بعناية الاب فورجه (J. Forget) — كتاب النجاة ما هو الَّا مختصر الشفاء فليس له ثلاثة مجلدات كما ظنَّ وهو كلهُ في آخر قانون ابن سينا المطبوع في رومية سنة ١٥٩١ ولا يتجاوز ٨٠ صفحة — وقد طبع العلَّامة مهرن (Mehren) عدَّة رسائل لابن سينا ونقلها الى الافرنسيَّة وكذلك نشر حضرة الاب معلوف في المشرق رسالتهُ البديعة في السياسة

هذا ما سمح لنا الوقت بتسطيره على جناح السرعة وفي تاريخ اداب اللغة العربية اشياء اخرى كثيرة تستدعي النظر والانتقاد لعلَّنا نعود اليها عند سنوح الفرصة . وكفى بما سبق دليلًا على رغبتنا في تحسين هذا الكتاب فيفوق على سواه بغنى موادّه ودقَّة تحقيقاته

استعمال المُنفّطات في الطبّ

بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الخوري

سبحان الله كأنّ اتباع الزيّ امر ملازم للمرء في كافة شؤونه حتى في تعاليمه الفلسفيّة والطبيّة. فمن راجع تاريخ الطبّ يرَ جلياً ما كان للفصد من الاهمية قبل نصف قرن او اكثر فكم عقب ذلك ردُّ فعلٍ مدهش بالاستكفاف عن اخذ الدم باي صورة كانت حتى صار من يجرأ على ذكر الفصد من الاطباء يعرض نفسهُ للهزء والسخريّة إلى ان آب الأساة منذ بضع عشرة سنة الى الالتجاء الى الفصد في حين اللزوم. وقد كنتُ انشأت مقالاً في هذا المعنى نشرتهُ مجلة الطبيب الأغرّ في عددين تحت عنوان «معالجة الامس ومداواة اليوم»

وما اعترى الفصد سابقاً من الهجران قد نزل ايضاً باستعمال المنفّطات اذ أعرض السواد الاعظم من الأساة عن استعمالها

وقد كنتُ انا كاتب هذه السطور من جملة من تبع «الموضة» في الاعراض عن المنفطات مدّة من الزمن. بيد ان اعراضي هذا لم يستمرّ طويلاً — ولحسن الحظّ — اذ ما عتمتُ ان شعرتُ بغلطي في حرمان مرضاي من هذه الواسطة الجليلة الفائدة وذلك انني عرضت يوماً على شاب مصاب بالجناب الحادّ عمليّة بطّ الصدر فاعترضتني أمهُ وأيّما اعتراض لانّ مجرّد سماع العمليّة هالها. ورغماً عن كل ما بذلتهُ من البراهين لاقناعها بوجوب البطّ لم انجح وتوسّلتْ اليَّ ان اداوي ولدها بطريقة اخرى اقرب أخذاً. فرأيتني اذ ذاك مضطراً لمجاراتها نظراً لإلحاحها وتوسّلها. واعتمدتُ في معالجتي اياهُ على تكرار وضع المنفّطات على خاصرتهِ الى حد عشرين مرة ونجحتُ في مداواته

واتذكر ايضاً انني داويت امرأة وصبيّة كانتا في الدرجة الثانية من التدرُّن بوضع ثماني عشرة حرّاقة للأولى وست عشرة للثانية وقد مضى على ابلالهما كلتيهما من دائها بضع عشرة سنة وهما بغاية الصحّة الآن. والصبية منهما تزوجت بعد شفائها بسنة وهي لا تزال تتمتعُ بكمال الصحة وتمام العافية. نعم انهُ لا يسوغ ان اعزو

كلّ ما حزتهُ من النجاح في هاتين الحادثتين الى استعمال المنفطات وحدها بل انني اشرتُ الى المريضتين استعمال الادوية المرممة والمضادَّة للباشلس الدرني وشرب زيت كبد الحوت حتى ان المرأة منها شربت في اثناء المعالجة لا اقلّ من عشرة ليترات من هذا الجوهر المغذي

واليك الآن ما ذكرهُ لي احد الاطباء عن نفسهِ وكلامهُ يؤيد رأيي السابق قال:

« قد كان اساتذتنا اشربونا بُغض المنفطات وأيّما بغض حتى قال احدهم عن اعتقادٍ ثابت: «انَّ استعمالها يُعدّ ليس فقط غلطاً بل جرماً وجناية» !... قال الراوي: ثم قضت الظروف بان اختبر فائدة التنفيط على نفسي شخصياً وذلك انهُ اعتراني الم شديد في القفص الصدري. وبينما كنت تحت سلطة نوبة سعال اشتدَّت وطأة الألم عليَّ بهذا المقدار حتى اصبح التنفس متعذراً عليَّ وكانت جهة صدري اليمنى تقف بلا حركة مدة ساعات متوالية ثم يتناقص هذا العارض ويعود في اليوم التالي او الذي يليه على اثر نوبة سعال او تحريك الذراع فقط

قال: وكنت قد استعملت على غير جدوى النُقَط النارية والخردليات والمورفين بيد انَّ الالم لم يسكن إلّا عندما وضعت بوقت واحد ثلاث منفِطات مختلفة الاتساع: واحدة بعشرة سنتات طولًا وعشرة عرضاً. وثانية بثمانية على ثمانية. وثالثة خمسة على خمسة

ثمَّ اردف كلامهُ قائلًا: وبعد ذلك وضعتُ مئات من المنفطات ولم اشاهد قط حصول التهاب الكليتين الذراحي. انَّما كان يحصل للبعض احياناً التهاب خفيف في المثانة. وكان هـذا العرض يزول حالًا باستعمال لبخة من الكرّاث (الكرّاث) » اه تلخيصاً

وها أنا ذا انقل للقارئ ما قالهُ طبيب آخر: قد شاهدتُ حوادث ذُجاب عديدة وداويتُها كلّها باستعمال الحرّاقات وكلها شُفيَت. وانا على يقين تامّ بان الالتجاء الى استعمال الحراقات قد انقذ عدداً ليس بالقليل من الذين كادوا ان يُحسَبوا في عدد الموتى. وبعكس ذلك يمكنني ان اذكر عـدة حوادث موت عقبت استعمال البطّ الصدري واني اذكر حادثة ذُجـاب مزدوج عولجت باربع عشرة حراقة ونالت شفاءً مدهشاً. وحادثة ثانية اقتضى التخلّص منها اثنتي عشرة حراقة. فما يخشى حصولهُ من

استعمال الحراقات هو التهاب الكليتين. اذن دائماً قبل ان تصف لمريضك حراقةً افحص بوله . واذا ما تحققت سلامة الكلي جاز لك استعمال الحراقة بلا محذور . فقد ذكروا من جملة المؤثرات في احداث التهاب الكليتين الذراحي ما يأتي: اولاً ان توضع الحراقة اسفل مما يجب او تتساقط من جوّا. ثانياً الرباط . ثالثاً الافراط في استعمال الحراقات. على ان الطبيب يعلم وشك حصول التهاب الكليتين الذراحي من حصول المرخفيف واذ ذاك فيجب الاسراع باعطاء المريض ماء فيشي المدني وجرع من ثاني كربونات الصودا يُزاد مقدارها تدريجاً . فعلى الطبيب اذن اذا امر بوضع حراقة ان يراقب الألم الكلوي وحالة البول

وعند ما يشاهد الطبيب ارتشاحاً بلورياً بطيء التحلل ويخشى منه ان يسبب التحامات في الرئة يحسن صنعاً باستعمال المنفطات

ويكفي ان يستفيد المرء من الحراقة زوال الم الخاصرة المتعند الـذي يحرم العليل الوسن فيصبح جسمه بعد هذه الراحة قادراً على مكافحة الداء المهدد حياته

هذا وقد ثبت اليوم فعل المنفطات المفيد في كل الاحوال الاحتقانية في حوادث ذات الرئة الشُعبيَّة وفي بدء التدرُّن اذ ان افراز المصالة التي تسيلها يكون مساعداً على ازالة الاحتقان بعكس غير وسائط مثـل التحويل او التصريف الجافّ بالتعلط الناريّة والطيَّارة واليود والخردليات . فانَّ هذه الأخيرة كثيراً مـا تكون سبباً في زيادة الاحتقان بدلاً من ان تكون وسيلة ازالته وانقاصه . وقد اخبر الاستاذ الشهير الدكتور « كرانشه » (D^r Grancher) انهُ عالج بالحراريق متدرناً في القمة في بدء الدرجة الثانية فوضع على صدر ذلك الشخص اثنين وثلاثين حراقة في مدة سنة وحصل الشفاء بعد ذلك

وقد جاء في جريدة « بوردو الطبية » بقلم الدكتور « دافيزاك » (D^r Dave-zac): « انا اعتقد ان التنفيط بالحراريق كلي الفائدة في الآلام الناشئة عن التهاب الرئة والبلورا . ويؤثر استعمالها على كل انواع المصرّفات بشرط ان يكون ثم داع يستدعي استعمالها . وينبغي رفع النفطة نصف ساعة بعد ظهور الحرق ثم يصير بزل الفقاعات ووضع لبخة محلها مع كل وسائل التطهير ثم يوضع زيت او « فازه لين » مكوفر (vaseline camphrée) »

وافاد الدكتور «ميشلو» وهو من المتحزبين ايضاً لاستعمال المنفطات انهُ اتفق له المشاهدة الآتية قال:

«كنتُ قد عقدتُ العزم في حادثة انسكاب بلوري على اجراء عملية البطّ الصدري ثاني يوم. فاتفق ان اهل المريض وضعوا له منفطة ومن غريب التوفيق ان الانصباب تناقص بهذا المقدار وبكذا سرعة حتى لم يبق اقل من لزوم لاجراء عمليّة البطّ!...»

وقال الدكتور «فريكي» في جريدة «بوردو الطبيّـة»: ان اكثر الاطبّاء الشبّان وطلبة الطبّ يضحكون بهزء عند مـا يسمعون من يتكلم عن المنفطات. وقد فاتهم انَّ للتصريف بالحراريق فوائد كليَّة جلية عند مـا يبطئ الانسكاب البلوري بالتحلل اذ انها (اي الحراريق) تعاون كثيراً على ازالة السائل وتستدرك حصول الالتصاقات. قال: ولا شيء انجع من منفطة لإزالة وجع الخاصرة المتعنّد. فان وضع ذبابات ميلان (١) الصغيرة على صدور الاطفال المصابين بذات الرئة الشعبيّة يهم فوائد جزيلة. فلو فُرض وجود بؤرتي التهاب متناسبتي المركز وصار وضع نقّاطة (ذبانة) ميلان على محاذاة احداهما لزالت بعـد يومين او ثلاثة بينا ان البؤرة الثانية تلبث في ملء دورانها

وتأثير المنفطات كلّي النفع لتهدئة الدُفَع الاحتقانيّة المرتكزة في البلورا عند المتدرنين او القوبانيين: كالآلام المستقرة في محـل واحد والاحتكاك والخراخر. والزئير النفخي الخفيف. وقد سبقنا فذكرنا حادثة الشفاء التي توفق اليهـا الاستاذ «كرانشه» بوضع اثنتين وثلاثين منفطة على قمة رئة متدرنٍ في بحر سنة كاملة

هذا وانَّ كثيراً من الامراض العصبيَّة بين الاضلاع التي تستعصي على المورفين تذعن للحراريق سواء صار استعمال المورفين معها ام لا. كما انهُ في كثيرٍ من الآفات تحت الحادة المستقرة على الاغشية المصليَّة يُجتنى كبير فائدة من المنفطات: كمثـل

---

١) لصقة مؤلفة من: زفت. وراتينج. وشمع اصفر. وشحم ومسحوق الذرّاح من كل ٦٠ وتربنتينا ١٥. وعطر اللاوندا وعطر الصعتر واحد من كل. وهـذه اللصقة هي الطف فعلًا من المنفطات الذراحية الاعتياديَّة واكثر ما تستعمل للأطفال

الالتهابات المفصليَّة التي يطول امرها والتهاب الفاصل الدرني والتهاب مــا حول البوق الخ

ولمعترض ان المنفطات تضني الجسم. ألا فليعلم المعترض ان فعــل الحرَّاقة اقل ازعاجاً للعليل بكثير من وخز الخاصرة واذا خيف من اصداد محلّ المنفطة فيُعمَد الى غسل الجلد بالصابون والكحول ثمَّ يُضمد المحلّ المنفط بقطعة قماش نظيفة معقمة او بورق « يوسف » نظيف

واذا أوجس الطبيب خيفةً من حصول عوارض ذُرَّاحيَّة فيكتفي بان تكون المنفطة صغيرة وتكرَّر مرارًا. ويجب رفعها بعد وضعها بخمس او ست ساعات ويوضع موضعها لبخة سخنة مركبة من ارز قد طُبخ في ماء الحامض البوريكي. فهذه اللبخة تعجل حصول الفقّاعة. وهكذا يُوفَّر على البدن امتصاص قسم من المادَّة الذراحيَّـة التي يخشى من تأثيرها على سلامة الكليتين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

كان في فكرنا لو سمح لنا الوقت ان نتجوَّل في الانحاء المجاورة لماردين لنبحث عن الآثار الكتابيَّة المفقودة لاسيا في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة مع ما كانت عليه تلك البلاد من الرقي والعمران على عهد الرومان كما يشهد عليهِ تاريخ نصيبين حاضرة ما بين النهرين وحصنها الحصين التي طالما تنازع في امتلاكها الرومان والفرس وتاريخ دارا التي رمَّمها وحصَّنها الملك انستاس فعُرفت باسمهِ (Anastasiopolis) وآثارها الجليلة الباقية تشبه آثار تدمر وبعلبك. ألا انَّ الزمان كان قصيرًا وفي نيتنا ان نعود الى بيروت قبل اشتداد الشتاء.

فعدلنا عن نصيبين ودارا لنرحل الى ديار بكر وهي مركز الولاية واحدى أمّهات مدن الدولة العلية مؤملين بأنّنا نجد فيهـا ما لا نجدهُ في غيرها من المخطوطات

فيوم الاثنين الواقع في ٢١ تشرين الاول قمنا باكرًا وبعد تقدمة الذبيحة الطاهرة سرنا مع قفل صغير في وجهة ديار بكر. وهذه المدينة موقعها شمالي غربي ماردين على ٧٣ كيلومترًا منها والطريق تقطعها اليوم عربات قليلة لكنها لم تصلح لذلك وقت سفرنا. وهي تمرّ بين حدائق وغابات. ثم تتوقل في رُبى وآكام الى ان تنحدر في السهول المجاورة لدجلة حيث بُنيت ديار بكر على ضفّة ذلك النهر الجليل احد الانهر الاربعة المذكورة في وصف جنّة عدن في سفر التكوين

وكان النهار معتدل الحرارة واديم السماء صافيًا والهواء عليلًا فسرنا نحو ساعتين حتى قربنا من عين شيخان في بطحاء هناك ذات مياه واشجار واذا باصوات تتناوب وراءنا وبقوم يصرخون الينا أن: قفوا في مكانكم

فالتفتنا فابصرنا شرذمة من الجند في عدد عشرة او خمسة عشر معهم بعض ضباط وهم يسرعون الينا. فلمّا رأيناهم وقفنا عن السير ننتظرهم لنعلم ماذا يريدون منّا واخذت انا كتاب صلاتي متنحيًا عن القفل ببعض الخطوات

ونحن لكذلك اذ سبق الجندَ احدُ رفقتهم كان بينهم كالدليل لابسًا لبس الشرط فادركنا واذ رآني معتزلًا عن الآخرين اقترب منّي ليوصدني. فسألني عملهُ وسألته: ماذا تريد مني؟ قال: اريد تفتيشك. قلت: دعني الآن اصلي صلاتي حتى يأتي رفقتك فسننظر في مرادكم

فكأنّ كلامي هذا امعضهُ فاخذ يدمدم ويزمجر ولعلّ الامر كان تفاقم بيننا لولا انّ الجند والضباط كانوا اقتربوا منّا فاسكتوا غضبهُ

ثم تقدَّم احد الضبّاط وامرنا بان نُنزل احمالنا. فسألته: ما معنى هذا الخروج وراءنا أنحن لصوص فارُّون من الدولة وقد قضينا في ماردين خمسة عشر يومًا نتردَّد على رؤساء الطوائف النصرانيَّة وادباء المسلمين وعمَّال الحكومة فلم يتعرَّض لنا احد فلو طلبنا المتصرف لَما تأخرنا عن اجابتهِ

فكان جواب الضابط على كلامي انَّهم مأمورون وعلى المأمور ان يقوم بما أُمر بهِ. فقلنا: ان كان الامر كذلك فلا بأس

وكان اوَّل ما طلبوهُ منَّا تذاكرنا فقدَّمناها لهم وهي ممضاة بختم ولاية بيروت

فاحتفظوها ثم جعلوا يفتشون كل خروجنا واوعيتنا واذ رأى الجند زاد طريقنا اخذوا يقتسمونهُ بينهم كأنهُ غنيمة باردة.

ولمَّا انتهوا من تفتيش اثقالنا ارادوا تفتيشنا رغماً عن احتجاجنا على عملهم. فعاد اليَّ ذاك الشرطي الذي زجرتهُ فهمَّ ان يجسَّ ثيابي واطراف جسمي بنوع لا يليق فدعوت الضابط الاكبر وقلت لهُ: اني لا ارضى مطلقاً بان يمسَّني هذا الخبيث

فلمَّا سمع المفتش كلامي تنمَّر غيظاً ومدَّ شمالهُ الى لحيتي ورفع يمينهُ ليضربني فاسرع منصور احد اخوتي الذي كان مرافقاً لنا في سفرنا ليمسكهُ. امَّا انا فالتفتُّ الى الجمع قائلاً: كلكم شهود على هـذا الانسان وتطاولهِ عليَّ فاذا وصلنا الى ديار بكر رفعت دعواي عليهِ الى سعادة قنصل فرنسة

فلمَّا سمع الضابط اسم قنصل فرنسة ردَّ عني الشرطيَّ واخذ يراضيني بقولهِ: انكم لستم بمجرمين حتى تنفروا من التفتيش. فاجبتهُ انَّنا رهبان واكرم من حريم فان ارادوا ان يفتشونا اريناهم كل ما في جيوبنا دون ان يمسونا بايديهم

وفي اثناء ذلك حاول واحد آخر ان يجسَّ رفيقي حضرة الاب يوسف شلفون فلم ينتظرهُ بل كشف لهُ صدرهِ قائلاً: فتش هنا لعلَّك تلقى اشياء خفيَّة. فضحك وارتدَّ عنهُ

وبعد ان فحصوا اوراقنا وكتبنا واخذوا منها ما راق لهم ومن جملتها كتاب صلاتي وغير ذلك سألونا عن اصلنا ومقامنا. واذ اعلمهم حضرة رفيقي انهُ ماروني الجنس ظنوهُ ارمنياً فانكر بتاتاً. ففهمنا من سؤالهم انهم اعتبرونا كجواسيس الارمن وانَّنا متنكرون تحت زيّ الاجانب

والحقّ يقال انَّنا لم نكن نعرف وقتئذٍ ما كان جارياً في اطراف الدولة من النهضة على الارمن وما كان السلطان عبد الحميد وانصارهُ يعدُّونهُ من المذابح والمجازر لطمس آثار العنصر الارمني. وانَّما انكشف لنا السرّ بعد ذلك بثلثة اشهر عند عودتنا الى بيروت

فعقيب هذا التفتيش غادرَنا الجند فساروا الى جهة ديار بكر قبلنا كأنهم يريدون ان يفيدوا الوالي عن نتيجة مأموريتهم. وكان الوالي اذ ذاك انيس باشا من ألدّ اعداء النصارى واحد خواصّ الدولة الحميديَّة وكان اهل ماردين رأوا من آثار جورهِ

مدّة متصرفيّته ما جعلهم يسترحمون الدولة ويطلبون تغييره · ومن مظالمه انهُ كان دسّ بعض اصحابه ليحرقوا اسواق النصارى فحرقوا من جرَّاء ذلك ما ينيف على ٢٥،٠٠٠ ليرة، واضطرَّهم بعد ذلك الى ان يوقّعوا تقريراً يعلنون فيه انّ الحريق حصل على طريق الصدفة . فكان جواب الدولة لدعوة المظلومين انَّها رقّت المتصرف الى منصب الولاية فزاد شره وعم كل سناجق ولاية ديار بكر

فلما رأى ارمن ديار بكر اعمالهُ وعلموا بانهُ استدعى رؤساء الدين والزمهم بان يُمضوا معروضاً للدولة يشكرون فيه من حسن معاملته لهم اقفلوا حوانيتهم واخذوا يتحصنون في بيوتهم ليردّوا غارات من يناوئهم · توقف دولاب الاعمال وخاف الوالي من ان يكتب ممثلو الدول في حقه فاخذ يطيّب قلوب اعيان النصارى ويعدهم خيراً اذا افتتحوا اهل دينهم بمواصلة اشغالهم كالوف عادتهم . فاجاب الاعيان الى طلبه وعادت بسميهم المياه الى مجاريها . وكان ذلك جرى عشرة ايام قبل سفرنا الى ديار بكر

أمَّا نحن فتأنفنا السير في طريقنا بيناً كنّا نتذاكر ما جرى لنا ولا نعلم ماذا حدا بعمال الدولة في هذه المعاملة الغريبة مع وجود التذاكر في ايدينا وسهولة الوقوف على امرنا من المراجع الرسمية في بيروت · وكنا مع ذلك في غاية الاطمئنان ننسب ما وقع في حقنا الى سوء تفاهم · ومشينا بقيّة يومنا دون شيء يكدر خاطرنا

وبعد ان قضينا الليل في خان ، وقمنا في منتصف الطريق سرنا قبل فجر اليوم التالي بين آكام متوسطة الارتفاع ثم تحدّرنا الى سهول واسعة قفراء · حتى اشرفنا على دجلة فلاح لنا ذلك النهر العظيم الذي يخرج في وسط صخور مرتفعة يزيد علوها عن ١١٠٠ متر على مسافة ١١٠ كيلومتراً شمالي غربي ديار بكر فينحدر كالسيول بقوة شديدة وتنصب فيه سواعد عديدة حتى اذا بلغ ديار بكر اصبح نهراً زاخراً يصب قطمة الّا في وقت الصيف

واهل ديار بكر يستدّون من مياهه حاجتهم لسقي اراضيهم فتخصب بها ايّ خصب فتُرى حدائق المدينة تأتي بضروب الاثمار العجيبة المنظر الشهيّة الذوق . منها البطيخ (ويدعونهُ الزبش وهو الجبس) الذي يبلغ ثقلهُ من ٤٥ الى ٥٠ كيلو والبطيخ الاصفر البالغ من ٢٥ الى ٣٠ كيلو ولكليهما الذّ طعم . وقس عليهما بقيّة

اصناف الفواكه فانّها تفوق كثيرًا على فواكه بلاد الشام الّا اثمار الجهات الجنوبيّة كالليمون والتمر فانّها لا تثمر هناك

وهم يزرعون ايضًا كميّات وافرة من التوت ويربّون دود الحرير ولهم الكروم الواسعة واصناف من العنب الطيب يصطنعون منه خمرًا قليلًا لعدم رواج الخمر وعرقًا طيبًا . وكذلك تبغهم غاية في الجودة

اما غلّاتهم من قمح وشعير وذرة فكلّها متوفرة لكنهم يكتفون منها بحاجاتهم لصعوبة نقلها وكُلَف ترويجها في الخارج . واذا مُدَّت عندهم السكّة الحديديّة البغداديّة فأمامهم ان تنتعش الهمم وتحيا الثروات لاسيما اذا حصل لهم بعض الامان من قبائل العرب وشذّاذ الاكراد

قطعنا دجلة على دوابّنا قبل الظهر بقليل . واذا مدينة ديار بكر بازائنا تُشرف على النهر بنحو مئتي متر فوق تلّ تزيّنه الكروم . لكنّ المكارين اذ علموا انّ الحكومة تضبط الدوابّ لخدمة عسكرها على سبيل السُخرة لم يشاءوا ان يدخلوا البلد فساروا بنا الى قرية في غربي ديار بكر تُدعى علي بوار على مسافة ثلاثة كيلومترات منها فنزلوا هناك ينتظروننا الى صباح السبت ريثما نتمّ شغلنا فنعود معهم الى ماردين فتركنا حوائجنا في علي بوار تحت حفظ اخي منصور وسرنا الى المدينة ماشين

فما لبثنا ان بلغنا اسوارها المحدقة بها وطولها سبعة كيلومترات وهي اسوار عاديّة مبنيّة بالحجارة البركانيّة الضخمة السوداء يرقي البعض بناءها الى عهد الرومان بل الى عهد الفرس ويكاد علوّها يبلغ ٣٠ مترًا ولهذا السور ٧٢ برجًا يدعمهُ . ووراءهُ سور آخر دونهُ يحمي المدينة مع قلعة حريزة في داخلها على انّ الخراب قد استولى على قسم من تلك المحصنات بتوالي الزمان وتغاضي الحكام

وكان دخولنا المدينة من بابها الغربي فلم يتعرّض لنا احد . ثمّ علمنا انّ الوالي كان امر الشرط بان يوقفونا عند الباب الجنوبي حيث كانوا لنا بالمرصاد . فوقع الامر على خلاف انتظارهم بسبب السخرة كما رأيت . وسرنا نحن الى دير الآباء الكبوشيين فاستقبلنا بالترحاب والحفاوة حضرة رئيسهم الجليل الاب يوحنّا الذي كنّا اجتمعنا به سابقًا ورأينا الكثير من فضله

وبعد ان تبادلنا عبارات الوداد اخبرنا الآباء المرسلين ما جرى لنا في الطريق وكيف اوقفونا على غير داعٍ واخذوا بعض اوراقنا بل تهدَّدونا بالاهانة. فلما سمع حضرة الرئيس هذا الخبر حتى قام من وقتهِ واخذنا الى دار قنصل فرنسة لنبلّغهُ تفاصيل هذا الحادث. وكان القنصل اذ ذاك المسيو ميريه (M' Meyrier) من ذوي الفضل والدين والهمّة القعساء. فلمَّا وقف على واقع الحال اشار الى ترجمانهِ بان يرافقنا عند الوالي لترفع اليهِ شكوانا. فسرنا الى مجلس الحكومة حيث كان انيس باشا. فاخذهُ العجب اذ رآنا مع ترجمان القنصليَّة بعد ان كان تقدَّم بترقيفنا الّا انَّهُ سكت. فجعلنا نفصل لهُ ما اصابنا من الاهانة ونحن مرسلون في حماية فرنسة ومعنا تذاكرنا المسجَّلة في احدى ولايات الدولة ولم نأتِ ادنى عمل يوجب المعاملة غير القانونيَّة التي جرت في حقّنا

فتلعثم الوالي في جوابهِ ولم يدرِ ما يقول لكنهُ اخذ تذاكرنا التي كان الجند اتوهُ بها فبعد نظرهِ فيها مليًّا قال: في تذكرتكم انكم مسافرون الى بغداد فما بالكم قصدتم ديار بكر؟ اجبنا انَّ غاية سفرنا هي بغداد لكنْ طريقنا على كل مدينة نؤمل فيها وجود الآثار الادبيَّة التي نسعى في طلبها فما كان يمكن ان نعدّد كل اسماء البلاد التي نمرّ فيها. فسكت

فبعد هذا طلبنا منهُ ان يردّ لنا حوائجنا المضبوطة ويقاصّ الجندي الذي تهدَّدني بالضرب. فاجاب انَّهُ يفعل ثم صرفنا. فرجعنا الى الدار القنصليَّة واعلمنا سعادة القنصل بما جرى بيننا وبين الوالي. فاوعز الينا ان نتقدَّم لهُ معروضًا نودعهُ شكوانا ففعلنا. ثم نقل القنصل هذا المعروض الى التركيَّة وارسلهُ الى الوالي مصحوبًا بكتاب منهُ حيث شدَّد النكير على ما صنعوا بنا والحَّ على الوالي بان تُردَّ لنا كلّ المسلوبات وان يجازى الشُرطي على سوء معاملتهِ وان نُعطى اخيرًا بيولرديًا ليخفرنا من مدينة الى اخرى جنديَّان يقيمان في خدمتنا كلَّما احتجنا اليهما. ففي صباح اليوم التالي اعادوا لنا كل اوراقنا وكتبنا على يد سعادة القنصل ثم أُرسل لنا البيولردي قبل خروجنا من ديار بكر

اقمنا في ديار بكر ثلاثة أيام فقط فزرنا في اثنائها رؤساء الدين ووجوه الطوائف

وعلمنا مما كان يجول في خاطرهم من المراجس فكأنهم يشيمون برق الزوبعة ويسمعون عن بُعد هزيم الرعد

وعند زيارتنا لطائفة الارمن وجدنا في ديوانها اسقفاً يعقوبياً كان عيّنيّاً في جوارهم. فاخبرونا انَّ اسمهُ عبدالله الصددي وانهُ وقع بينهُ وبين بطريكه عبد المسيح خلاف كبير فاراد البطريك ان يستعين بالدولة ليلقيهُ في الحبس. فلمَّا استروح المطران عبدالله ذلك النبأ فرَّ هارباً من دير الزعفران واتى ديار بكر مجاهراً بارتداده الى الكثلكة. واذ اراد انيس باشا توقيفهُ اسرع السيد عبدالله فالتجأ الى حماية قنصل فرنسة بصفة كاثوليكي مرتدّ عن اليعقوبية وبقي أياماً في الدار القنصلية حتى نُقل مخفوراً الى دار اسقفية الارمن الكاثوليك. وكل يعرف ما صنع بعد ذلك الاسقف عبدالله اذ انتمى الى الكثلكة وبقي في خدمة الكنيسة السريانية الى ان اغراه شيطان الطمع ثانية بعد ان عزلت الدولة البطريك عبد المسيح قبل خمس سنوات فطلب لنفسه البطريكية اليعقوبية واظهر بذلك انَّ ارتداده الى الكثلكة لم يكن عن سلامة نيّة بل لغايات زمنيّة أثارهُ الله

وزرنا كنائس ديار بكر كنيسة مار فثيون للكلدان وكنيسة مار سرجيوس للارمن الكاثوليك وكنيستي الروم واليعاقبة وكلتاهما على الطرز القديم لعلَّهما ترتقيان الى ما بعد الفتح الاسلامي بقليل. امَّا الكنيسة الكاتدرائيَّة الكبرى السابقة لعهد العرب فاتخذها المسلمون كجامع لصلاتهم وهي باقية الى يومنا مع ما طُمس من محاسنها على كرور الدهور

وفي جوار الكنيسة الكلدانيَّة في الابنية اللاحقة بها من الدار الاسقفيَّة مكتبة قديمة يبلغ عدد كتبها بين مطبوعة وخطيَّة نحو ٥٠٠٠ كتاب وجدنا فيها آثار حسنة كلدانيَّة وعربيَّة من جملتها مجموع شعر نساي وديوان ورده الشاعر الشهير وتاريخ عربي لاحد نساطرة القرن الثالث عشر وقد باشر بطبعه اليوم سيادة مطران سعرت السيد ادي شير فظهر قسمهُ الاول مترجماً الى الافرنسيَّة (راجع الشرق ١٢: ٧١٢) ومنها كتاب في الديانة النصرانية وتعاليمها وآدابها لابن التلميذ وغير ذلك ممَّا يعزُّ وجودهُ كبعض المطبوعات القديمة

وممَّا رأيناهُ في كنيسة الارمن ذخيرة ثمينة تُصان بكلِّ اكرام وهي على حسب

تقليدهم احد المسامير التي سُمر بها السيد المسيح على صليبهِ. فهذه الذخيرة مودعة في صوان من بأور مثلث الزوايا طوله ١٥ سنتيمترًا وعلى الصوان كتابة ارمنيَّة هذه ترجمتها في السنة ١٠٩٨ من تاريخنا (الارمني) الموافقة للسنة المسيحيَّة ١٦٥٠ ظهر في هذه كنيسة القديس سركيس المسمار الذي سُمّر بهِ الربُّ في صلبوتهِ »

وللصوان قاعدة تُعرض فوقها الذخيرة وهي ذات ثلاثة وجوه . فعلى الوجه الاوَّل ثلاث كتابات لاتينيَّة: الاولى فحواها: خاتم سمعان دي سنت اندره فارس ماغوصا (Famagouste) من قبرس. والثانية معناهـا: هذا مسمار السيد المسيح. والثالثة هي رسم شعار سمعان السابق ذكرهُ. وفي اثرهِ: اننا نسجد للربِّ الذي يكافئنا امين »

والوجه الثاني عليهِ رسم صورة السيد المسيح مع تلامذتهِ بعد قيامتهِ وتوما امامهُ ساجدًا لهُ وجاعلًا اصبعهُ في جنبهِ. امَّا الوجه الثالث فعليهِ رسم الصليب وعلى جانبي الصليب ملائكة تحدق بهِ

نقلنا هذه المعلومات عن مقالة كتبها في ذلك حضرة الاب يوحنَّا رئيس الرسالة الكبوشية في ديار بكر ثم نشرها في مجلة الارض المقدَّسة (La Terre S^te^. 1897. pp. 49 - 55) وعنهُ اخذنا رسم الذخيرة كما تراها (ص٦٢٥). وقد روينا خلاصة قولهِ دون ان نقطع بصحة الذخيرة والمظنون انَّ هذا الاثر المقدَّس حصل عليهِ احد ملوك الارمن في القرون الوسطى فاهداهُ الى ملوك الفرنج في قبرس فلمَّا خرج الفرنج من تلك الجزيرة اخذوا معهم تلك الذخيرة حتى صارت في ملك الفارس سمعان دي سنت اندره. وعلى كل حال نحيل القرَّاء الى ما كتبهُ العلَّامة روهو دي فلوري في ذخائر الآلام عموما وفي المسامير المقدَّسة خصوصاً (Rohault de Fleury: *Les Instruments de la Passion*. pp. 172 - 181)

ومن غريب ما جرى لهذه الذخيرة بعد خروجنا من ديار بكر ببضعة أيَّام انَّ الاكراد نهبوا الكنائس فسلبوا تلك الذخيرة وباعوهـا مع قاعدتها. فاشتراها مسلم اسمهُ علي ثمَّ باع القاعدة بثقلها فضة أمَّا المسمار فعالجتهُ امرأة علي فكسرت الاسطوانة البلوريَّة ورمتها مع المسمار في قمامة الدار. وكان الارمن في اثناء ذلك يبحثون عن الذخيرة فسألوا عليًّا عن امرها وسأل هـذا امرأتهُ فاخبرتهُ بالامر فجاء الارمن ولم

يزالوا يفتشون عن الذخيرة حتى وجدوها وتحققوا صحتها ثمَّ اتخذوا عليا بهية عوضاً عنها. وردُّوا الذخيرة الى كنيستهم وزادوا اكرامًا لها

وبنسبة زيارتنا لديار بكر رأينا من اللائق درس تاريخها فهذه خلاصة ما استفدنا من بحثنا نثبتها هنا لفائدة القرَّاء الذين لا يسمعون الّا القليل عن مدن بلاد ما بين النهرين

ديار بكر اسم حديث لمدينة يرتقي عهدها الى مئين من السنين قبل التاريخ النصراني وكان اسمها القديم آمد وبهذا الاسم ورد ذكرها في الكتابات الاشوريَّة ويقال ايضاً أميد وأميدوس. وسمَّاها الترك قرا آمد اي آمد السوداء لسواد حجارتها البركانيَّة وسمَّاها قدماء الفرس " كركثيو سرتا " اي مدينة الكركثيين احدى امم الفرس

واوَّل ما ورد ذكرها التاريخ في كتابة الملك الاشوريين المسمَّى " اشور نزير هبال " حيث يفتخر بفتح آمد وذلك بين السنتين ٨٦٠ و٨٧٠ قبل المسيح. ويروي موسى الخوريني مؤرخ الارمن في الفصل الثلاثين من تاريخه ان دقران او تغران احد ملوك الارمن رمَّم آمد وزخرفها فجعلها مقاماً لاخته قرينة الملك استياج المادي وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد

ثمَّ بقيت آمد خاملة الى القرن الرابع بعد المسيح فحصَّنها قسطنطين الكبير وقيل قسطنطيس ابنهُ فدُعيت مدَّة باسم قسطنطية. واشتهرت آمد بعد ذلك بمقاومتها لملكي الفرس سابور الثاني في القسم الآخر من القرن الرابع وقباذ في القرن السادس فلم يستطيعا فتحها الّا بعد الجهد الجهيد وبواسطة الخيانة. فافرغ الفاتحان غضبهما على اهلها بالقتل والنهب والدمار

الّا انَّ المدينة كانت لا تلبث ان تقوم من خرابها وتعود الى عزّها السابق لاسيا في عهد يستينيان الملك الذي ضاعف الهمَّة في مناعتها. وجدَّد الملك هرقل بناء كنيستها الكبرى المعروفة اليوم باوس جامع. وكان فتحها على يد العرب على يد العياض بن غنم سنة ٢٠ للهجرة. وعُرفت في العهد العربي بديار بكر. لأنَّ بني بكر وتغلب كانوا احتلوا الانحاء المجاورة لها. فاطلقوا اسم ديار بكر على الجهة الغربيَّة من

الجزيرة واسم ديار تغلب على الجهة الشرقية عند جزيرة بني عمر. ثمَّ اختصوا مدينة آمد باسم ديار بكر لانها حاضرة تلك البلاد

وفي ايام الدولة العباسيَّة تنقلت آمد فصارت في حكم بني بويه ثم الروم ثم المردانيين والفاطميين والارتقيين فتتبع غالبًا اصحاب ماردين وحصن كيفا. ولمَّا فتح الصليبيون مدينة الرها اضافوا ديار بكر الى مملكتهم ثم عادت الى حكم المسلمين. وفتحها المغول في اواخر القرن الرابع عشر فبقيت في عهدتهم حتى ملكها شاه اسماعيل في اوائل القرن السادس عشر فلم يحكموا عليها الَّا عشر سنوات فدعا امراء الأكراد السلطان سليماً فولَّوه عليها سنة ١٥١٥ وبقيت مذ ذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية

ودخلت النصرانيَّة في ديار بكر في القرون الاولى للميلاد حتى ان التقليد ينسب تنصرها الى المرسولين توما وتداوس والدليل على نجاحها انها كانت مقاماً لرئيس اساقفة تنوط بها اسقفيات عديدة كسنجار ودارا ونصيبين وبيت زبدا. وكان لرائها سمعان من جملة الذين حضروا المجمع النيقاوي الاوَّل سنة ٣٢٥. واشتهر في القرن الخامس اسقفها اقاقيوس بمحبته للفقراء وافتدائه للاسرى

وفي القرن الخامس نفث الناطرة ولاسيما اليعاقبة فيها سمّهم لا بل اتَّخذها اليعاقبة ككرسي بطاركتهم الى زمن ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر فانتقل منها الى ماردين. وكنيسة اليعاقبة من اقدم كنائس ديار بكر. وكان للملكيين ايضا اساقفة في ديار بكر عُرف منهم ابراهيم الثاني في عهد فوطيوس. ولا بل لا يزال حتى يومنا كرسي ديار بكر من كراسي الطائفتين الملكيتَين الكاثوليكيَّة والارثذكسيَّة وان بقي مرارًا الكرسي فارغاً. وكنيسة الروم قديمة ترتقي الى القرن الثامن وكانت في ايدي الكاثوليك الى اواسط القرن الماضي

امَّا الكثلكة فان كوارث الزمان كانت تعدَّت عليها فطمستها البدع في آمد الى ان قام في اواسط القرن السادس عشر يوحنا سولاقا الكلداني فخضع للكرسي الرسولي اتمَّ الخضوع فاقامهُ البابا بولس الثالث بطريركاً على طائفته وجعل كرسيَّهُ في آمد سنة ١٥٥٣ فردَّ كثيرين من اهلها الى الايمان الكاثوليكي وخلفهُ عبد يشوع مطران الجزيرة بعد موته شهيدًا سنة ١٥٥٥ فتقفَّى آثارهُ لكنَّ الناطرة ثاروا عليهِ وعلى

رعيَّته اضطهاداً عظيماً وحرَّكوا عليه عمَّال الدولة فصارت كنيسة آمد في حالة حرجة لاسيا بعد موته سنة ١٥٦٥ .

وفي اوائل القرن السابع عشر عادت الكثلكة الى بعض الازدهار في آمد برجوع ايليَّا السادس البطريرك النسطوري فهذا نبذ التعليم النساطرة ونال من الحبر الاعظم درع الرئاسة وعقد في آمد سنة ١٦١٦ مجمعاً حضرهُ كقاصد رسولي رئيس الآباء الفرنسيين في حلب الاب توما دي نوفار (Thomas Obicini de Novarre) الّا انَّ الدين الكاثوليكي تعرَّض لعدَّة اضطهادات بعد وفاته سنة ١٦٢٧ وفي أيام خلفه ايليَّا السابع المتوفَّى سنة ١٦٦٠

وفي تلك الاثناء عهد الكرسي الرسولي الى الآباء الكبوشيين رسالة ما بين النهرين فعزَّز مجيئهم الكثلكة وادخلها في طور جديد وذلك سنة ١٦٦٧ اذ ارسل المجمع المقدَّس الاب يوحنَّا دي سنت اينيان (J - B. de St Aignan) مع راهبين آخرين الى آمد فابتدأوا ينشرون العقائد الكاثوليكيَّة بغيرة عظيمة وما لبث عدد كبير من النساطرة واليعاقبة والروم ان نبذوا اضاليلهم وتبعوا الايمان الكاثوليكي

وزادت هذه الحركة لمَّا جعل الكرسي الرسولي مدينة ديار بكر كمركز البطاركة الكلدان الكاثوليكيين المعروفين باليوسفيين (١ فضمُّوا قواهم الى قوى المرسلين من السنة ١٦٧٠ الى السنة ١٨٢٧ حيث جُعل الكرسي البطريركي للكلدان في الموصل وكانوا في غضون ذلك ردُّوا كل النساطرة الى حجر الكنيسة

وقد قاسى المرسلون والبطاركة في آمد من الاضطهادات والمشقَّات ما يطول ذكرهُ الّا انَّ مساعي الكبوشيين الرسوليَّة واعمالهم الخيريَّة من تمريض المرضى واعالة الفقراء على اختلاف اديانهم بكل الاخلاص والنزاهة جلبت اليهم محبَّة الاهلين عموماً من مسلمين ونصارى وكبار وصغار حتى انَّ الولاة وامراء الاكراد اخذوا يعزُّونهم ويكرمونهم

وما لبث اليعاقبة والارمن الغريغوريُّون ان تبعوا مثال الكلدان فاهتدى منهم

---

١) راجع في المشرق (٣: ٨٧٨) مقالة السيد ادي شير والقس جرجس نصري التي عنوانها « طائفة الكلدان الكاثوليك »

عدد وافر في آمد والقرى المجاورة لها واقام لهم الكرسي الرسولي اساقفة الى يومنا وعدد الكاثوليك اليوم في ديار بكر ونواحيها يبلغ نحو ٦٠٠٠ منهم ٢٥٠٠ كلدان و ١٨٠٠ ارمن كاثوليك و ١٢٠٠ سريان. و ١٥٠ روم كاثوليك والبقيَّة من اللاتين

أمّا القريغوريُّون فكان عددهم عند مرورنا نحو ١٢٠٠٠ واليعاقبة ١٥٠٠ والروم الارثذكس ١١٠٠ والبروتستانت نحو ١٠٠٠ فالنصارى نحو ثلث اهل ديار بكر وتوابعها والباقون مسلمون واكراد وشركس. ولطوائف الكاثوليك في ديار بكر مدارس. أمّا الرسلون الكبوشيون فيهذّبون الذكور والبنات معاً تساعدهم في عملهم راهبات افرنسيَّات من فرنسا. لا بل صارت الرسالة الكبوشيَّة كلها اليوم في عهدة الكبوشيين الفرنسويين بعد ان كان يديرها رهبانهم الايطاليون

وقد تجوَّلنا مدة اقامتنا في ديار بكر في اسواقها واحيائها فرأيناها كثيرة الاقذار قد استولى الخراب على قسم من ابنيتها. وبين هذه الابنية ما تلوح فيه مسحة من البهاء القديم ومنها ما هو على الطرز الفارسي. وقد شيَّد بعض الاعيان بيوتاً حسنة في هذه السنين الاخيرة. وبين مساجدها ما هو محكم البناء ولا سيا جامعها الكبير الذي مرَّ ذكرهُ وفي داخلهِ السواري الضخمة والنقوش البهيَّة. ومن ابنيتها التي تستحق الذكر قلعتها القديمة الراقية الى عهد الروم كانت فيها كنيستان الواحدة على اسم مار يوحنَّا المعمدان هي الآن مسجد لصلاة الجند والاخرى اتخذوها كمستودع للاسلحة. ويسقي ديار بكر مياه غزيرة طيبة تأتيها بالاقنية من الجبال المجاورة

وما كنَّا نظنّ انَّ ديار بكر بعد خروجنا منها بأيَّام قليلة ستضحي منقعاً للدم اذ فتح الوالي ابوابها للاكراد فحدثت تلك المذابح التي قُتل فيها ١٢٠٠ نصراني اكثرهم من الارمن وأُحرقت مخازنهم ونُهبت بيوتهم. على انَّ الآباء المرسلين اظهروا وقتئذٍ من المروءة ما لا يفي بشكرهِ لسان فانقذوا نحو ٥٠٠٠ شخص في ديرهم وعالوهم مدَّة اسبوعين وكذا فعل قنصل فرنسة في دارهِ. وكانت قرينتهُ الفاضلة تهتمُّ بالفقراء والجرحى اهتمام الام وبعد أيَّام خرجت من ديار بكر مع ٢٠٠٠ منهم ورافقتهم الى حلب ولم تشأ ان تنفصل عنهم حتى قطعوا الفرات وصاروا في امان. فقدَّرت الحكومة الفرنسويَّة شهامتها واهدتها جائزة فاخرة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١) وعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النسطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليهِ سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم :

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ ... اذا هضَبَتْهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت ... ضُحًى او سرت جنحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع ممراعٍ كأنَّ رياحهُ ... سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً ... وما انجابَ ليلٌ عن نهارٍ يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيّ. والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيّ قرب جوّ من ديارهم

(١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

امّا نصرانيَّة قبائل نجد فلنا عليها عدَّة شواهد. قال السائح الانكليزي بالغراف في كتاب رحلته الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف: «ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الا القليل لكن التقاليد المحليَّة تزعم انَّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيَّة وانَّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرُّوا الى استعمال اقطع الادلَّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١)»

وقال في علّ آخر (ص ١١١): «قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيَّة بل يرجَّح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميَّة عليها (٢)»

وخصَّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انَّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيّ. وقد لقي ذاك السائح هناك عدَّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شكيك الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذه الرحالة حديثَ خرافة بل تؤيد روايتهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولَّوا على بني معدّ في انحاء نجد واولهم حجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

---

(١) هذا نصُّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave : *Voyage dans l'Arabie Centrale*. p. 61).

(٢) وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommiades. » (Id. I, 111)

امَّا نصرانيَّة كندة فلا شكَّ فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصيَّة حيث رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيَّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ – ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديَّة حيث تفتخر بكونها «أمة المسيح وام عبدهِ (اي عمرو بن هند) وبنت عبيدهِ» (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). وروينا ايضاً النصوص اليونانيَّة التي نقلها فوتيوس في مكتبتهِ (Migne-P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيَّة كندة لما تساعوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد ذلك عبد المسيح الكندي في رسالتهِ الى الهاشمي في ايام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠):

«ولنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربيَّة وشرف الآباء فيما اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لابائنا واجدادنا. فقد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنَّا نقول ما قالهُ رسول الحقّ بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر بهِ الَّا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبهِ نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حقَّ معرفتهِ ونتقرَّب اليهِ وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم»

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجدادهِ:

«ولولا انَّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت... لكنّي رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرَّف بهِ وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو بهِ الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها بفضلهِ واحسانهِ وسعة رحمتهِ»

فصحَّ اذن انَّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيَّة انحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرَّينا فيهِ تاريخ النصرانيَّة في جميع جهات العرب (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

R. P. Scheil : La Chronologie rectifiée du règne de Hammourabi (Extrait des Mémoires de l'Acad. d. Inscr., t. 39) *Paris, Klincksieck*, 1912, p. 12, 4°, 1 Pl

تصحيح تاريخ ملك حمورابي

انّ الشهرة العظيمة التي نالها ملك بابل حمورابي بعد اكتشاف دستوره الخطير قد استلفتت اليه كل الانظار. الّا انّ الآثار المستخرجة من اعماق الارض لم تفدنا تاريخاً مدقّقاً لاعماله مدّة ملكه الطويل في اواخر القرن الحادي والعشرين قبل المسيح. على انّ حضرة الاثري الجليل الاب شيل الدومنيكي امكنهُ ان يسدَّ هذا الخلل بوصف عدّة صكوك وعقود كُتبت في عهد الملك المذكور ومصدَّرة بتواريخ مضبوطة ومن جملتها كتابة اكتشفها حضرة الاب لجمع تلك الآثار ونظَّم كل معلوماتها ورتَّب تواريخها حتى استخرج منها توالي الأحداث التي جرت على عهدهِ وذلك مدّة ما ينيف على ٤٣ سنة. وعلى رأي الاب شيل انهُ دوَّن دستورهُ في اواخر حياتهِ ل. ش

Daremberg - Saglio-Pottier : Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, 46 fasc. (TABELLA — TEXTRINUM). *Paris, Hachette*, 1912

معجم العاديات اليونانيَّة والرومانيَّة

هو القسم السادس والاربعون من هـذا التأليف النفيس وبهِ يبتدئ حرف T والمجلد الخامس ومّما يحتويهِ من الموادّ الجديدة بالاعتبار لحسن سبكها ووفرة معلوماتها وشهرة كاتبيها مادّة ذبيحـة الثيران (Taurobolium) للاثريّ اسبراندير (Espérandieu) ومادّة الارض كامّ الاحياء (Tellus) للاستاذ هيلد (Hild) ومادّة الهياكل (Templum) للعلّامة سورلين دوريني (Sorlin-Dorigny) هذه في الدينيّات. ومّما هناك في الرسوم والحقوق مادّة السجلّات (Tabularium) بقلم لافاي (Lafaye) ومادّة المسجل (Tabellio) ثم الشهادة (Testimonium) وكلتاهما لمسيو لاكريڤان (Lécrivain) ومادّة الوصاة (Testamentum) للعالمين (Beauchet et Cuq). ومّما ذُكر في الاثريّات مادّة الخيام (Tentorium)

للعلّامة شابو (Chapot) ومادة السطح (TECTUM) للاستاذ جارده (Jardé) ومادّة لوح (TABELLA) ثمّ زهر اللعب (TESSERA) من تأليف لافاي. وخصوصاً مادّة مثقال (TALENTUM) للكاتب الشهير بابلون (Babelon) وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعدادهُ. وقد سرّنا ما ضموهُ الى هذا الجزء كلحق ألا وهي ترجمة حياة اوّل من باشر بهذا المعجم الفريد اعني المرحوم ادمون ساغليو (Ed. Saglio) مع صورتهِ والترجمة بقلم المسيو پوتيه رفيقهِ في هذا العمل ومنجز مشروعهِ بهمّتهِ مع مساعدة المسيو جرج لافاي. وقد اضافوا الى هذه الترجمة الخطاب الذي القاهُ المسيو اومون (M. H. Omont) رئيس مكتب الاثريّات والفنون الجميلة تأبيناً للمسيو ساغليو

س. رونزفال

ELEMENTA GRAMMATICÆ ARABICÆ cum **Chrestomathia, Lexico Variisque Notis** auctoribus PP. A. DURAND ET L. CHEIKHO s. J. Editio altera emendata. *Beryti., Typogr. PP. Societatis Jesu*, 1912, IV-488. in-4

اصول اللغة العربية وعروضها مع منتخبات نثرية وشعرية ومعجم وتذييلات

نشرنا هذا الكتاب قبل خمس عشرة سنة وما كنّا لنظنّ ان سيعاد طبعهُ وهو مصنّف في اللاتينيّة لكليّات اوربية خصوصاً وعددها محصور فراج الكتاب رواجاً اضطرّنا الى اعادة طبعه بعد اصلاحهِ وتحسينهِ فلنا الامل الطيب انّ المستشرقين يلمحونهُ كما في السابق بنظرهم . وفي ما ورد علينا في الشهرين الاخيرين من رسائلهم ضامن على اصابتنا المرمى

ل. ش

THE ARABIC AND TURKISH MANUSCRIPTS in the Newberry Library, described by **D. B. Macdonald D. D.**

قائمة المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيوبري

اهدتنا ادارة مكتبة نيوبري في شيكاغو قائمة مخطوطاتها العربيّة والتركيّة التي تزين خزائنها وهي عبارة عن ٢١ كتاباً وصفها احد اساتذة كليّتها المستشرق مكدونلد. واحسن ما وجدناه في تلك الآثار مختصر المجسطي لبطليموس اختصرهُ نصر الدين الطوسي ودعاهُ تحرير المجسطي وكتاب المصباح في النحو لابي الفتح ناصر المطرزي شارح مقامات الحريري وبعض رسائل السيوطي كرسالة في اصحاب

الحديث ورسالة البدور السافرة في امور الآخرة. فنشكر للمهدين هديتهم ونطلب لمكتبتهم اقبالًا ونجاحًا
ل. ش

كتاب الرسالة البرهانية في تبرير الديانة النصرانية

للطيب الذكر كيريو كيرِ مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك

طبعة ثانية . في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩١٢ (ص ٤٥)

هذه ١٨ سؤالًا القاها احد شيوخ المسلمين على غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم ضمّنها مجمل ما يطرأ على خاطر قومهِ من المشاكل بحقّ الدين المسيحي واسرارهِ . فكان جوابهُ اسرع من الصدى برسالة اثبت فيها صحة معتقدات النصارى نافيًا عنها ما يتوهمهُ البعض في اسرارها من المناقضة للعقل والبعد من التصديق . والمؤلف في اجوبتهِ على كل سؤال يضرب الصفح عن شواهد الوحي ويكتفي بما يرضى بهِ العقل الصائب من الادلّة المقنعة . فانتشرت هذه الرسالة ونالت الحظوى لدى معاصري كاتبها وطُبعت وتنشر على الحجر . وقد اقترح علينا آنفًا احد الافاضل تكرار طبعها ففعلنا واصلحنا الطبعة القديمة على نسختين خطيّتين وذيّلناها ببعض الشروح دفعاً للالتباس وقفّيناها برسالة أُخرى هي كخلاصة المعتقد النصراني كان سطّرها اسقف ملكي في القرن الثالث عشر وهو بولس الراهب وارسلها الى احد ادباء المسلمين في عصرهِ . فنؤمل لهذا الكتيب انتشارًا عظيماً لاسيما بين اهل الاسلام الذين كثيرًا ما يعرضون علينا مثل هذه الاسئلة
ل. ش

كتاب منهج المعرفة في علم الفلسفة

وضعهُ الخوري يوحنّا ابي مارون معتوق الماروني اللبناني على مختصر الفيلسوف العصري العلّامة جاك بلمس الكاهن الاسباني

المجلد الاول طبع في المطبعة الانطونية في بعبدا (لبنان) ١٩١٣ (ص ٥٢٨)

قد تعدّدت في هذه السنين الاخيرة التآليف الفلسفيّة المدرسيّة . ولا بأس في ذلك فان زيادة الخير خير . ولعلّ كثيرين يقبلون على هذا الكتاب الجديد لسهولة مأخذهِ وكثرة ايضاحاتهِ والاصل الذي استند اليهِ صاحبهُ في تأليفهِ ألا وهو ذلك الكاتب

الاسباني الذي شرَّف وطنهُ بتآليفهِ الكاهن جاك بلمس. فانَّ مصنفاتهِ لم تُفد فقط مواطنيهِ بل نُقلت الى اكثر الالسنة الاوربيَّة فعمَّ نفعها كل طبقات المجتمع التمدّن. وقد امتازت تآليفهُ الفلسفيَّة على غيرها لبُعد غورها وسداد تعاليمها . فشكرًا اذن لحضرة مؤلف منهج المعرفة في علم الفلسفة على تعقُّبهِ آثار ذلك الاستاذ وتقريب افكارهِ الى اهل الشرق وهذا الجلد الاوَّل يتناول علم المنطق بمقدّماتهِ وفروعهِ واقسامهِ وملحقاتهِ في كتابين يليهِ كتابٌ ثالث في الطريقة الفلسفيَّة لاستخراج الادلة ومعرفة مواردها. وكل كتاب ينقسم الى رؤوس ومطالب وللمطالب صدور ومتون وذيال بحيث لا يبقى بحث دون ايضاح مستوفٍ في كل اقسامهِ. وفي آخرهِ عشر صفحات لاصلاح اغلاط الكتاب ل. ش

ܟܬܒܐ ܕܡܟܣܢܘܬܐ ܘܣܘܟܠܐ ܕܠܘܩܒܠ ܦܪܘܛܣܛܢܛܐ

ܗܘܢܐ ܕܗܘ ܡܟܣܢܘܬܐ ܠܡܥܠ ܕܡܟܬܒܢܐ ܕܡܪܐ ܕܥܠܡܐ

تفنيد الاضاليل البروتستانية

طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠–١٩١٢

انَّ الجمعيَّات البروتستانيَّة اذ رأت الطوائف الكاثوليكيَّة في الشرق لا تنقاد لاضاليل تبعتها افرغت كنانة الجهد في اغواء الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة لعلَّها تنال منها ما لم تُصبهُ من الطوائف المتحدة مع رومية بالايمان لعلمها بانَّ اولئك المنفصلين اشبه بقطعان لا راعي لها . وممَّن سعى البروتستانت في تضليلهم النساطرة فدخلوا جبالهم وبثوا بينهم تعاليمهم الباطلة حتى اجتذبوا منهم عددًا وافرًا بمدارسهم ودراهمهم. على انَّ قسمًا كبيرًا منهم انتبهوا لفعل المضلّين ورجعوا الى حجر الكنيسة منذ نحو عشر سنوات وهم لا يزالون ثابتين على ايمانهم. فلتسكين عزعة هؤلاء المرتدّين وهداية الضالين اراد حضرة الاب شمويل جميل رئيس الرهبان الكلدان في الموصل ان يؤلف كتاباً في الكلدانيَّة يجمع فيهِ البراهين القاطعة على ضلال البروتستانت وصحة الايمان الكاثوليكي فانجز مشروعهُ وجاء كتابهُ حافلًا بالبينات النظريَّة والشواهد التاريخيَّة المثبتة لقولهِ. وممَّا يمتاز بهِ هذا الكتاب انَّ مؤلفهُ قد اوعبهُ بالنصوص المنقولة من كتب النساطرة وتآليف علمائهم وكلُّها تُزيف

الدَّعيات البروتستانيَّة وتؤيّد تعاليم الكثلكة البطرسيَّة. وطُبع الكتاب احسن طبع على مطبعتنا الحجريَّة بخطّ يُعدّ من ابدع خطوط العصر. فنشكر حضرة الاب على هذا العمل الجليل الذي اضافهُ الى خدماتهِ السابقة للعلم والدين ونتمنى لكتابهِ الرواج التامّ ونحضّ المستشرقين على اقتنائهِ لمضامينهِ الاثريَّة ل. ش

كتاب

الإقتداء بالمسيح

ترجمة الاب فرنيه الراهب اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٢٦٥)

يسرُّنا ايّ سرور اقبال اهل الشرق على هذا التأليف البديع الذي يُعدّ بعد الاسفار المنزلة افضل كتاب تتداولهُ ايدي البشر. فلا عجب والحالة هذه ان يسعى محبُّو الدينيَّات في نقلهِ وتقريب مناهلهِ وترويج منافعهِ الجمة. وان خصصنا لغتنا العربيَّة بالذكر وجدنا لهذا الكتاب عدَّة تعريبات عُني اصحابها باخراجهِ على انماط مختلفة فمنهم من تحرَّى السذاجة والسهولة كالاب الكرمليتاني شلستينو دي ستا ليدوينا الذي عرَّبهُ لاوَّل مرَّة سنة ١٦٦٣ فطبعهُ في رومية بمصادقة العلّامة الماروني ابراهيم الحاقلاني ثمَّ تكرَّر مرارًا طبعهُ بالعربيَّة والكرشونيَّة في رومية وبيروت وغيرهما مع اصلاحات شتى. ومنهم من فضَّل الرقَّة والطلاوة مع الضبط والتنقيح كحضرة الاب فرنسيس ماريا القرّاء الحلبي الفرنسيسي الذي نشر ترجمتهُ في القدس الشريف سنة ١٨٦٩ على صورة بهيَّة والحقَ كل باب باعتبارات تقويَّة. وكانَ حضرة الاب فرنيه اليسوعي عمد الى هذه الترجمة الجديدة ليزين ذلك الكتاب بمسحة من العربيَّة الفصحى مؤملًا بهذا التزويق ان تروج سوقهُ لدى الادباء وهي التعابير المزخرفة والالفاظ المنمَّقة. وها نحن نورد مثالًا من الترجمات الثلث ننقلهُ عن الفصل الثاني من الكتاب الاوَّل (العدد ٢ و ٣) دلالة على خواصّ كل منها

ترجمة الاب شلستينو

٢ كفَّ عن الرغبة الزايدة في تحصيل العلوم لان قد يوجد هناك تشويش عظيم وخداع جسيم . لان اصحاب العلوم يستحسنون نظر الناس اليهم و يبتغون ان يسـمّوا حكماء . اشياء كثيرة التي معرفتها تفيد النفس منفعة قليلة او لا تحصل منها منفعة البتّة . فهو احمق غاية الحمق من عزم على امر سوى ما يفيده خلاص نفسه . فكثرة الكلام لا تشبع النفس بل العيشة الصالحة تقر الذهن . والضمير الطاهر يزيد ثقةً بالله

٣ بقدر ما كثر علمك ورسخت فيه تدان اشدّ دينونةً ان لم تعش ازكى عيشةً فاذًا لا تتعظَّم بصناعة من الصنائع ولا تفتخر بعلم من العلوم . ولكن الاجدر ان ترهب من المعرفة الموهوبة لك . وان ظهر لك انك كثير المعرفة وغزير الفطنة فحينئذٍ اعلم ان توجد اشيا كثيرة لا تعرفها . لا تتسامى (كذا) بطمك بل الاولى ان تعترف بجهلك . لماذا تطلب تفضيل نفسك على احد اذ توجد عدةٌ من الناس آكثر علماً منك واوفر فقاهةً ومهارةً في الشريعة . فان قصدت علماً مفيدًا وتعليماً حسناً ارغب ان تكون مجهولًا محسوباً كلا شي

ترجمة الاب ف . القرأ

٢ كُفَّ عن الرغبة الزائدة في تحصيل العلوم . لانَّ هناك تشتيت البال العظيم والغرور الجسيم . انَّ أهلَ العلم كلٌّ مسرَّتهم في ان يظهروا انفسهم للناس ويدعوا حكماء . أشياء كثيرة قلَّما تفيد النفس وقد لا تفيدها البتَّة . وانهُ لأحمق الحمقى مَن عُني بغير ما هو عائد لأمر خلاصهِ . كثرةُ الكلام لا تُشبع النفس بل العيشة الصالحة تُريح القلب والضمير الصالح يوليه ثقةً بالله عظيمة

٣ بقدر غوك وتعمقك في العلم تكون دينونتك اشدَّ صرامةً اذا لم تكن سيرتك أفضل قداسةً . فاذن لا تتعظَّم ولا تفتخر بصناعة من الصنائع او بعلمٍ من العلوم بل كُن على وجلٍ من المعرفة التي أوتيتها وان خُيِّل لك انك واسع العلم سريعُ الفهم فاعلم انَّ ما تجهلهُ لهو أكثر ممَّا تعرفهُ بكثير . لا تتكبَّر بل بالأولى أقرر بجهلك . لمَ تريد ان تفضِّل نفسك على غيرك و يوجد كثيرون احذق منك في المعارف وأفقهُ في علم الشرائع ان ابتغيتَ علماً ومعرفةً يجديانك نفعاً فارغب في ان تكون مجهولًا ومحسوبًا كلا شيء

ترجمة الاب ترنيه

٢ دع عنك الافراط في الحرص على طلب العلم اذ يورث من الاغترار وشرود العقل شتات شتات ما يعظم . الذين تعلَّموا تطيب نفسهم باظهار ما تأسوا وبان يُعدّوا في الحكماء . امورٌ كثيرة الاطلاع عليها قليل الجدواء للنفس او لا يُجلى منهُ بطائل . ولقد تفاقم سفه من صرف غايته الى سوى ما يُفضي به الى الخلاص . انَّ النفس لا تشبع من كثرة الكلام لكن من سار سيرةً مرضيةً تُثلج صدرهُ ومن طهر قلبُهُ وجد في نفسهِ ثقة بالله عظيمة

٣ كلَّما ازددت علماً وفيه تعمُّقاً ازدادت دينونتك هولا ما لم يزدد سلوكك قداسةً ولذالك لا تتكبَّرنَّ مما اقتبست من علم وفنّ بل الأولى ان تخاف خوفًا اذا حصَّلت معرفةً من المعارف . وان خيِّل اليك ان تعلَّمت اشياء شتى عرفتها كنه معرفتها فاعلم ان الامور التي تجهلها لا يحصى عددها . لا تتكبر بل الاجدر أن تُقرّ بجهالتك . فما بالك تترفع على غيرك وقد كثر من برعك علماً وبالشريعة خبرةً واذا اردت ان التعلّم والعلم يفيدانك فبك ان تطيب نفساً بكونك خامل الذكر ونسياً منسياً

فترى انَّ لكل ترجمة من المزايا ما يرغب فيهِ قوم دون غيرهم فليختر كل ما يشاء. والاختيار موكول لحسن الذوق ل.ش

دعاة الضلال

بحث نقديّ اجتماعي عصري بقلم الخوري يوسف الصائغ البولسي

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ١٢٠)

هذا كتاب نودّ لو رأيناهُ في ايدي كلّ شبان العصر الذين يتباهون بالانتماء الى اولئك الزنادقة الضالّين والمضلّين اعني ڤولتير وجان جاك روسو وديدرو. فانَّ مؤلفهُ الفاضل جمع فيهِ من شواهد كبار الرجال من كاثوليك وبروتستانت ونكَرة الوحي وزعماء الكفر ما يسوّد وجه ذلك المثلث الجهنمي الذي لم يعرف غير الفساد والخراب ونشر على الارض من الشرور والآفات ما اربى على كل طوفان عرمرم و كلّ وباء فتّاك. وما من احد يمكنهُ ان ينسب حضرة الكاتب الى الاغراض وهو يدعم كل اقوالهِ بنصوص ينقلها عن اوثق المصادر واصدق المؤرخين والشهود العيانيين. وقد سُررنا خصوصاً بفصلهِ الثاني حيث وصف بضاعة دعاة الضلال وكشف جهلهم المطبّق. فهيّاً أيها الشبان المتفرنجون اشخصوا الى اجدادكم وافتخروا بهم او أقرئوهم الوداع الى ابد الدهر ل.ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفهِ سليمان مصوبع المحامي

الكرّاس الثاني طُبع في صيداء (ص ١٢١ — ٣٦٠)

افدنا القرّاء في عددنا الاخير عن صدور هذا القاموس الفريد في لغتنا. والشغل قائم على ساق فها قد اتانا منهُ الكرّاس الثاني الذي لا يقلّ عن ٢٢٠ صفحة فيتناول الموادّ الداخلة في آخر حرف الالف ثم الحروف الثلاثة التابعة الى مادَّة « الشين » نهنّئ جناب المؤلف على عملهِ ونحضّ كل محبي الحقوق على اقتناء معجمهِ ل.ش

الضرران الاكبران المسكر والدخان

رسالة الدكتور كامل سليمان الخوري عيسى من حمص

بمطبعة حمص سنة ١٩١٣ (ص ٦٨)

يرى الطبيب بخبرتهِ اضراراً لا يراها غيرهُ. فكأن جناب طبيبنا الحمصيّ

الدكتور كامل وجه نظره خصوصاً الى السكارى والمدخنين فرأى من تأثير الكحول والدخان في من يتعاطوهما ما حمله على تعريف مضارهما والتحذير من آفاتها فنتمنى ان المصابين بهذين الدائين يطالعون هذه الرسالة ويقتنعون بما يقدّم لهم الكاتب من البراهين على سوء عقبي هاتين العادتين ويتعالجون بما يصف لهم من الادوية للكف عنهما
ل · ش

امثال الشرق والغرب

جمعهُ يوسف توما البستاني

طُبع في مصر في المطبعة اليوسفيّة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٨)

امثال او بالحري حكم نطق بها اماثل الناس في الشرق والغرب جمعها احد الادباء وقسمها اربعة وعشرين فصلاً على مقتضى المعاني مباشرةً بالعلم ثمَّ العمل ثمَّ الكسل ثم الصبر وهلمَّ جرًّا. وقد الحقها في آخرها ببعض امثال او حكمٍ عموميّة لاهل الصين ومرّاكش ولبعض الحكماء والفلاسفة وجدّد طبع الرسالة الحاتميّة في الامثال التي استعارها المتنبي من اقوال ارسطوطاليس وختمها بوصايا مفيدة عرّبها الدكتور ورتبات في المقتطف او ابراهيم افندي رمزي في كتابهِ الذي عنوانهُ «أياك». وليست هذه الحكم في درجة واحدة من الصدق والذكاء بل كان بعضها يستدعي تنبيهاً من الجامع في ذيل الكتاب وعلى كل حال فالمجموع حسن لتفكهة الخواطر وتهذيب العقول
ل · ش

شَذَرَاتٌ

آثار بابليّة قديمة — نشر العلّامة الانكليزي لنغدون (S. Langdon) في مجلّة العاديّات (S. Bibl. Arch., XXXIII, p. 221) كتابةً من اقدم الكتابات الاشوريّة وهي رسالة للملك «ريم سين» ملك لارسة احد معاصري الملكين حمورَبي (٢١٣٠ — ٢٠٨٨ ق م) وسَنسوايلونا (٢٠٨٧ — ٢٠٥٠) مدارها على محاربة بابل في اواخر عهد حمورَبي — واثبت العلّامة ڤيذنر

(E. Weidner) سندًا الى كتابة قديمة انّ قدماء الكلدان كانوا يقيسون بالدرجات المسافة بين نجمين من النجوم الثوابت وان قياساتهم بلغت ضبطاً عجباً (Or. Lit. XIV, p. 345) – وممّا توفّق الى اكتشافهِ الاستاذ اننغاد (A. Ungnad) اثر كتاني يثبت قتل الملك سنحاريب بمكيدة ولديهِ كما ورد في سفر الملوك الرابع (٤ مل ١٩: ٣٦و٣٧) وبهِ تزول المشاكل التي كانت تريب العلماء في صحّة هذا الخبر بل جاء الاكتشاف كشاهد جديد على حقيقة الاسفار المقدّسة (S.S. Times, LIII, p. 395) – ويقرب من هذا ما اثبتهُ الاستاذ ديشس (S. Daiches) بخصوص ما ورد في سفر اشعيا النبي (٣: ١٨ – ٢٣) عن حليّ نساء بني اسرائيل فهناك ذُكِرت الخلاخل والاهداب والأهلّة واجناس الصاغات فبيّن الكاتب ان تلك الحلي كلها مذكورة في اناشيد الإلهة عشتار البابليّة وفي قصة انحدارها الى الجحيم فاستنتج من ذلك اوّلا انّ نساء العبرانيّات كنّ يتزيّنّ بحليّ نساء بابل في ذلك الزمان وثانياً انّ وصف النبي اشعيا تلك الحليّ شاهد باهر على قدم سفرهِ وصحّتهِ

حديث خرافة — نقلت جريدة جون ترك في عددها ١٩٨ (٣ شعبان ١٣٣٠) خبرًا غريباً نرويهِ تفكهةً للقرّاء. قالت ما ملخّصهُ: شاع انهُ وجد عند اليسوعيين لمّا نُفوا من بلاد بيرو سنة ١٧٧٠ كنز من النقود والجواهر كانت تبلغ قيمتهُ ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة فهذا الكنز نقلتهُ الى اوربة سفن اسبانية خرج في مسيرها قرصان فسلبوهُ منها وانزلوهُ في جزائر كوكوس حيث جعلوهُ في مأمن واخفوهُ ثمّ مات القرصان وبقي الكنز مدفوناً. فهذا الكنز الدفين قد اجتمع لتفتيش عنهُ قوم من الانكليز في مقدّمتهم شقيقتان السيدة باري تيل (Mrs Barry-Till) ومس دافيس (Miss Davis) وقد نالوا من حكومة كوستا ريكا الرخصة في التفتيش على الخزينة. وعمّا قليل سيخرج من بليموث مركب يُدعى ملمور (Melmore) في وجهة تلك الجزائر لطلب الكنز – قلنا هذه من الاكاذيب العديدة التي تناقلها الرواة القصصيون عن « الجزويت » ونحن نتمنى ان يصحّ خبر الرحلة المذكورة لعلّ بها تبطل احدى الاشاعات الخرافيّة في الرهبانية اليسوعيّة كما بطل غيرها كثير ممّا روّجهُ اعداء الدين وفنّدهُ الف مرّة العلماء المنصفون ولكن لا سماع لمن تنادي !

السيف القاطع لعنق الغر الخادع بل قُلْ سيف كهام بَرْدُهُ من غمدهِ من لا يعرف من آداب الجدال شيئاً . وكفى الدليل عليه انَّ صاحبهُ لم يجسر ان يُعلن باسمهِ . وايمُ الحقّ انهُ حسناً صنع اذ لا يُقدم على الدفاع عن الشيخ النبهاني الّا من يستر نفسهُ تحت قُبعة . اما ما دسَّهُ الكاتب في تلك الوريقات من دعوى تحريف النصارى للكتب المقدَّسة فقد شممنا منهُ رائحة التلفيقات التيريَّة التي عرفت نتنها من تفنيدنا لكتابهِ المزوَّر الذي عنونهُ « العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة » فليُعِدْ سيفهُ الى غمدهِ فانَّهُ من مخاريف الصبيان ليس صمصامةً ذكرًا

تكذيب اشاعة روت مجلة الكلمة في العام الماضي (٧: ٣٠٨) خبرًا هذا مؤدَّاه قالت ان جنرالًا اسبانيًا كاثوليكيًا اسمهُ « فيكنديوس غارسيا ديوي بيريس » رفض جميع ضلالات كنيستهِ اللاتينيَّة واعترف بجميع عقائد وتعاليم كنيسة المسيح القويمة الراي الارثوذكسيَّة » وذلك في مدينة بياريتسا في ٦ — ١٩ نيسان من السنة ١٩١١ على يد الاب نيقولاوس بابوف . واتّسعت الكلمة في وصف الجنرال وتعريف علمهِ وفضلهِ واسباب ارتدادهِ الخالية من كلّ غرض . فلمَّا قرأنا هذه الاسطر ارتبنا في صحّة الخبر وسألنا الاب « ماير » احد الاساتذة الاسبانيين في كليتنا عمَّا يعرفهُ من امر الجنرال . فاجابنا انَّهُ لم يسمع قطّ باسمهِ وكتب للحال الى احد آباء مدرستنا الكبرى في مدريد فاجابهُ بعد مراجعة التقويم العسكري انَّهُ لا يُعرف جنرال بهذا الاسم في بياريتسا ولا في غيرها وانَّ خبر هذا الارتداد كذب محض . فلم نكتفِ بهذا الجواب بل طلبنا من الشاب الاديب أكليمنضوس تُرْدَيرى في قنصلاتو دولة اسبانيا ان يكتب الى المراجع الرسميَّة ليتبيَّن صدق الرواية فاتاه كتابان رسميَّان يؤيدان رسالة استاذ مدريد . فعلمنا بذلك انَّ هذا الخبر كاذب رواهُ السيد هواويني كما روى الخبر الذي زيَّفناهُ في عددنا السابق عن مدارس اليسوعيين في جزائر اليونان . ولا نشكّ انَّ ما رواه ايضاً السيد الموما اليهِ (في الصفحة ٤٠٩ من السنة عينها) عن ارتداد اربع راهبات كاثوليكيات الى الارثذكسيَّة » في نيويورك خارج من العمل عينهِ اي انهُ اختراع واشاعة كاذبة . فتأمل !

اسئلة واجوبة

س كتب لنا احد الكهنة مستفيداً: جاء في الفصل ٣٦ من سفر اخبار الايام الثاني (عدد ١) ان يوآحاز بن يوشيا أُقيم ملكاً بعد ابيه. وفي العدد ١٠ منهُ انَّ ملك بابل جعل صدقيا ملكاً بدلاً من يوياكين. اما سفر ارميا (٢٢: ١١) فيجعل ملكاً على يهوذا بعد يوشيا شلوم لا يوآحاز. وسفر الملوك الرابع (٢٤: ١٧) يروي ان خلف يوياكين هو عمّهُ متنيا. فكيف التطبيق بين هذه الآيات

مشكلان كتابيان

ج الجواب على هذين المشكلين انَّ الملك الواحد عُرف باسمين مختلفين كما جرت العادة في عدَّة بلاد ان يدعى الرجل باسمٍ جديد عند جلوسهِ على عرش الملك. فابن يوشيا الثالث بعد ابيه المدعو يواحاز في سفر اخبار الأيام هو هو المدعو شلُّوم في سفر ارميا والامر بديهيّ وان لم ينبه عليهِ الكتاب الكريم. وانَّما صرَّح بالامر في الشكل الثاني حيث قال كاتب سفر الملوك الرابع (عدد ١٧) «واقام ملك بابل متَّنيا عمّ يوياكين ملكاً مكانهُ وغيَّر اسمهُ صدقيا». ومثلهما الياقيم اخو يواحاز (المدعو شلُّوم) فان ملك مصر دعاهُ يوياقيم وبهذا الاسم عُرف في التاريخ. وكذلك ابن الياقيم (المدعو يوياقيم) تسمَّى باسم ابيهِ يوياقيم بعد ان عُرف باسم يكنيا (٢ اخبار ٣٦: ٨ – ٩ و١ اخبار ٣: ١٦)

الاب ي. د

س اعترض احد الكهنة على جوابنا في العدد السابق حيث قلنا انَّ صورة المصلوب التي تُقام الذبيحة امامها يجب ان تكون من مادَّة صلبة كالمعدن والخشب. فقال المعترض ان المجمع المقدَّس والقديس ليغوري اوجبا ما نفيناهُ

صورة المصلوب على الهيكل

ج ليس كلامنا عمَّا يجوز ان يُعرض في حنيَّة الكنيسة فوق الهيكل من صليب منقوش او منحوت لكن على ما يُنصب على المذبح فوق القربان الاقدس فيجب ان يكون صليباً من معدن او مادَّة صلبة. ويُستغنى عن صليب المذبح اذا وجد ذاك الصليب مصوَّراً او منحوتاً في صدر الكنيسة او على الجدار فوق المذبح ل. ش